

روايات عبر



آت هاميسون

قلبني المحيط



مرمورية

٩

روايات عبر

قلب في المحيط

كانت وندي براون فتاة جميلة، مريحة، وثرية ... او هكذا
 رآها ركاب الباخرة «فايسون» في رحلتهم الطويلة عبر المحيط
 الا ان قلباً آخر يخفق في صدرها، قلب لا يتخيله اولئك
 الركاب السعداء الذين يبحثون عن مغامرات بين امواج
 المحيط الهائلة، كان يصطخب بسر رهيب أقسمت ألا تبوح
 به لأحد مهما كانت الظروف. لكن القدر يخبيء مفاجاته في
 احلك الليالي، والرجل المدعو غارث ريفرز جاء يقرع باب
 ذلك القلب اليأس، فهل تفتح وندي؟ هل تقول نعم؟ ام
 تحاول الفرار حاملة سرها في قلب محطم؟
 ... وهل هناك شعاع في آخر النفق؟

لبنان ١٦ د.	الكويت ٧٠٠ ف	البحرين ٩٠٠ ف	السودان ٧٠٠ م
عمان ٨٠٠ د.	الامارات ٩٠ د	لبنان ٧٠٠ د	فرنسا ١٠٠ ف
الأردن ٥٠٠ ف	البحرين ٩٠٠ ف	لبنان ٧٠٠ د	مصر ١٠٠ ف
السعودية ٥٠٠ د.	قطر ٩٠ د	البحرين ٩٠٠ ف	السودان ٧٠٠ م

١ - الضربة القاضية

جلست وندي معتدلة فوق الكرسي، يداها الباردتان كالثلج تشبثتا بذراعيه، وهي لا تكاد تعي الوجه القائم أمامها بعينين تنطقان شفقة وحاجبين كثيفين رماديين يضفيان على الرجل مظهرا شرسا. كانت واعية للسحب الصيفية الضخمة المحملة بالمطر، تراها من خلال النافذة، وتحجب الشمس، كما كانت منتبهة لتكات الساعة البطيئة الثقيلة. أجل التكتكة البطيئة... وفجأة حولت تفكيرها عنها كما يسحب الانسان نفسه من أغلال حلم مفزع يؤرقه ويدفعه الى الاستيقاظ، لكن برغم الحلم المفزع تكون هناك زفرة ارتياح عند الاستيقاظ، وقالت بصوت يعلو قليلا عن الهمس:

دكتور هويتير، لم تخبرني بعد برأي الاخصائي. لقد رفض هو نفسه أن يكشف لي عن الحقيقة قائلا انه سيكون من الأفضل أن يحدثني طبيبي الخاص، وأنا موجودة هنا منذ نحو خمس دقائق.

واختلست نظرة الى ساعتها ثم استطردت تقول:

نعم خمس دقائق بالضبط، إذ أن مواعي كان الساعة الثالثة.

وبدا الطبيب كما لو كان يبتلع شيئا يسبب ألما كبيرا في حلقه، ثم استهل كلامه بقوله:

عزيزتي، أنا أعرفك منذ مدة طويلة.

ردت قائلة:

منذ عشرين عاما، فأنت من جاء بي الى هذا العالم.

ومرة أخرى غص حلقه، لكن صوته بدا حاسما وهو يقول:
"انه ورم في المخ يا وندي، ولا يرى الاخصائي أي أمل على الإطلاق".

وبسرعة حول وجهه عنها، وأدركت بدون أدنى شك أن
الدموع تترقق في هاتين العينين الزرقاوين الطبيبتين حينما
استدار مرة أخرى ليوواجهها.

قالت وندي وقد شابت صوتها نبرة أسي واضحة:
"لا أمل؟ أدركت ذلك بالطبع من التعبير الذي ارتسم على وجه
الاخصائي".

"أراد أن يجري جراحة لكنه أدرك أنها لن تجدي، وقد شعر
بخيبة أمل عميقة بسبب عجزه".

قالت وهي تبحث عن الدموع، في الوقت الذي استدار
الطبيب ليوواجهها:

"كم تبقى لي من العمر يا دكتور هويتيكير؟
أربعة أشهر أو ربما أكثر قليلا".

وحدقت في عينيه بعينيها الواسعتين البنفسجيتين حيث
تزاوجت التساؤلات والاحتجاجات، عبر المكتب الفخم المقطى
بالجلد والواقع بينها وبين رجل كان عبر السنين صديقا لها
فضلا عن كونه طبيبا:

"أيعني... أنه يمكنني التأكد من أنني سأعيش أربعة أشهر،
أربعة أشهر... نحن الآن في ديسمبر / كانون أول".

اذن لن ترى إطلاقا صيفا آخر أو خريفا، وهو الفصل الذي
تحبه، أو أي شيئا آخر بعد هذا الشتاء. لن ترى عيد ميلاد
آخر لها على الإطلاق.

"أجل يا وندي، هذا ما يعنيه".

وظلت صامتة وهي تدرك أنها صارت شاحبة، لون بشرتها
يتغير دائما حينما يغلبها التأثر العاطفي، أصبح أبيض وناعما
مثل المرمر، كما يحدث لها في أوقات الانفعال.

وأخيرا مدت يديها وهي تقول:

"ماذا يفعل انسان محكوم عليه بالموت في بحر أربعة أشهر؟
ربما يأتي الموت الآن. أتمنى من كل قلبي أن يحدث الآن".

صدرت الصرخة من أعماق أعماقها، وكانت صادقة، انها لا
ترغب العيش في زناينة الموت طوال الأشهر الأربعة

المقبلة، وتجاهل الطبيب بقية ما قالتة وهو يكرر قولها:
"ماذا يفعل الانسان؟ أية نصيحة ينبغي أن أقدمها اليك؟"

كانت عيناه مبللتين بالدموع، أما فمه، بشفتيه الممتلئتين
المزموختين غالبا، فكان متوترا غير مستقر، وكانت شفاتها
ترتعثان، ودقات قلبها أسرع وأثقل من المعتاد وأرخت قبضة
يديها على ذراعي الكرسي ووضعتهما فوق المكتب وهي
تضمهما الواحدة الى الأخرى ثم ذكرته قائلة:

"انك تقدم لي دائما النصيحة الصحيحة، ودائما تكون حاضرا
عندما أحتاج الى التوجيه".

لم تعرف وندي أباهما على الإطلاق، لأنه توفي قبل أن تبلغ
من العمر عامها الاول، أما أمها فتوفيت منذ عام، وفكرت:
إننا أسرة لا تعيش طويلا... راودتها هذه الفكرة وهي تحاول
أن تتذكر متى بدأت نوبات الصداغ تتناوبا، في البداية ظنت
أن هذه النوبات نتيجة إجهاد في النظر لأنها تقرأ كثيرا
وتعيش وحدها، لكن هذه النوبات كان يصاحبها الشعور
بالرغبة في النوم، وأخيرا استشارت الطبيب، ومن بعده
الاخصائي الذي كان وجهه متجهما وعيناه غارقتين في
التفكير وهو يقول:

"أذهبي وقابلي طبيبك، في مثل هذا الوقت من الغد سيكون
قد سمع رأيي".
لكن....

ورفع يده ليستكثها بينما كانت تستعد لتوجيه مزيد من
الأسئلة اليه وقال:

"طبيبك يعرفك منذ سنوات، وهو الرجل المناسب للتحدث
معك حول هذا".

"هل... هو شيء خطير جدا؟"

بهذا السؤال قاطعته وندي، لكنه أوقفها بحسم.

ونتهضت وندي واقفة، لكن بغير اتزان، وبعد لحظة وجدت
نفسها خارج الباب أكيدة أنها أصبحت في قبضة خوف مريع.
أخرجها سعال د. هويتيكير الهاديء من تلك الذكرى المفزعة،
وأعادها الى الحاضر والسؤال الذي وجهته. وهو سؤال كانت
تعرف أنه يفكر فيه والآن لديه الجواب، وافتعلت ابتسامة
وهي تسأل بعينيها:

"نعم يا دكتور هويتيكر؟ هل فكرت في شيء أفعله؟
أوما برأسه، وبدا أسعد قليلا، رغم أن الظلال كانت لا تزال
تحوم في عينيه، وتكشف عن مشاعره الداخلية وأسفه العميق،
ثم قال:

"أول رحلة حول العالم للباخرة "اس. اس. فايسون" تبدأ في
أوائل كانون الثاني - يناير".

واختلست وندي النظر اليه وهي تقول:

"أتقترح أن أشارك فيها. أستطيع تحمل شيء كهذا؟"
ولهت ثم أضافت:

"إن كل مدخراتي حوالي مائتي جنيه".

"وال... بيت!"

كم كانت هذه الكلمة صعبة، وأدركت أنه يتساءل كيف
تشعر الآن، وسألت:

"البيت؟ أتعني أن أبيعه؟"

أوما بالاجاب، وفكرت... أية نهاية مزعجة لا تحتل!
بيتها؟ البيت الذي تركته لها أمها، كان كل ممتلكاتها. وهو
بحالة جيدة، والأثاث أيضا ما زال بحالة جيدة، معظم اثاثه
من نوع جيد وبعضه قديم ونادر.
وقال الدكتور هويتيكر برقة:

"سيدرك عليك أكثر مما تحتاجين يا عزيزتي، أعني، ما يكفي
للرحلة كي تحسلي على مستوى عال مريح خلالها، وسيتوفر
لديك أيضا ما يكفي لثيابك، والأموال التي تحتاجين لرحلة
تستغرق ثلاثة أشهر".

وتجهمت، وذكرها، بصوته الرقيق نفسه أنه ليس هناك
شخص عزيز لديها ترغب في أن تترك له ممتلكاتها. هزت
رأسها موافقة. فليس لها أحد من أقاربها، عدا ابن عم من
بعيد، اذن لماذا لا تأخذ بنصيحة الطبيب؟

وقفت وندي تنظر الى جانب الباخرة الخضراء وهي تتحرك
ببطء بعيدا عن رصيف الميناء في "ساوثامبتن". هل ستعود
يوما؟ لم يبق لها الآن الا ثلاثة أشهر فقط. أو أكثر قليلا.
البيت، اشتراه أول شخص أقبل لرؤيته.

وأعقبت ذلك مكالمة تليفونية لمكتب البواخر، حجزت لها
غرفة فخمة خاصة لشخصين كان صاحبها الغيا الحجز في

آخر لحظة ثم بدأت بسرعة في شراء الثياب وأخذ اللقاح
المضاد للحمى الصفراء والكوليرا، وبينما كانت تقوم بكل هذا
كان يحضر الى البيت كل من يرغب في شراء الأثاث وغيره من
الأشياء التي أرادت بيعها. لم يكن لديها وقت للتفكير، ومع
ذلك فورا كل هذا العناء كان هناك شبح الموت الأسود
نهاية كل شيء، ثم أدارت المفتاح لآخر مرة في قفل الباب
وهي تخرج منه في ذلك الصباح، تاركة الدكتور هويتيكر
ليواصل بيع ما تبقى... كان على استعداد ليفعل كل شيء من
أجلها، وإذا حدث وعادت فإنها ستدخل إحدى دور الترميض،
حسبما يكون الطبيب قد أعد لها الترتيبات من قبل.

وقررت ألا تفكر طوال ثلاثة أشهر من الآن، واختلست نظرة
فرأت جميع وجوه الاشخاص الذين يشتركون في رحلة العمر
فرحة. هذان الزوجان المسنان، هل ظلا يوفران طول عمرهما
من أجل هذه الرحلة؟ وذلك الرجل هناك، من المحتمل أن يكون
من عمال رصف الطرق أو البنائين في الأشغال العامة، تلك
المرأة، ربما تكون نجمة سينما، وهي غنية بالتأكيد كما هو
واضح من المجوهرات التي تتزين بها، والمعطف المصنوع من
الفراء الثمين. ذلك الرجل هناك ربما فرنسي. والآخر الذي
يقف على بعد قليل منها، قد يكون أحد رجال الأعمال
البارزين. وهذان اللذان يقفان بجوار حاجز الباخرة. أحدهما
طويل وأسمر جذبتها وسامته عندما لاحظت، بالنظر الى جانب
وجهه، ملامح كلاسيكية حاسمة واضحة. الأنف المعقوف
والذقن البارز، والخدان عميقتان والبشرة نحاسية. وأدار
رأسه ونظر اليها بلا مبالاة ثم استدار مرة أخرى ليتحدث مع
صديقه، وألقت وندي نظرة أخرى على الميناء التي بدأت
تبعد. ثم نزلت الى حجرتها الفاخرة في جناح الاثرياء حيث
لها حجرة خارجية بحمام، مريحة بكل معنى الكلمة.

حالما أصبحت وندي في حجرتها وقفت قرب خزانة
الملابس، وتركزت عيناها على المرأة، ومع ذلك لم تريا شيئا،
اذ فجأة اعترتها نوبة من نوبات مرضها وشعرت بأنها تفوض
في أعماق الأسى، وتهبط في هاوية سحيقة كل ما فيها ظلام.
وما كان فيها من أمل ذاب وطفى عليها شعور برغبة عارمة

في أن تصرخ احتجاجا وتوسلا من أجل العون .

واستلقت على السرير مغمضة العينين . لماذا اشتركت في هذه الرحلة ؟ لماذا لم تر أن الحياة ليست الا عذابا خالصا وهي تعيش بين أناس سعداء ، يضحكون ويسبحون ويرقصون ويقومون بتلك الرحلات الغريبة التي تنظمها شركة "أمريكان اكسبريس" للركاب فترسو السفينة في الموانئ المعينة ساعات معدودة او أياها !

مع ذلك ، فبعد الراحة والحمام انتعشت تماما وخرجت تتناول شاي بعد الظهر في "حجرة الملكة" . وهي جناح لطيف ، ثم تنجيد أثاثه باللون البرتقالي ، تنتشر فيه المزروعات ، مما يضيف مزيدا من الألوان المفرحة اليه ، وقدم اليها الشاي والكعك الطازج المصنوع بالكريمة مضاف بيتسم ويرتدي بنطلونا أسود ومعطفها أبيض . وبما انها أحضرت كتابها جلست تستمتع بأول وجبة لها في الباخرة .

ولم تكن قد فتحت الكتاب الا قليلا عندما خطر لها أن تختلس نظرة الى رجلين يدخلان . . . انهما اللذان رأتهما فوق سطح السفينة خلال الابحار ، ونظر اليها الرجل الطويل الوسيم نظرة اللامبالاة نفسها التي ألقاها عليها من قبل ، لكن الرجل الآخر ، الذي كان يرتدي ملابس أنيقة كصاحبه ولم يكن طويلا ولا وسيما مثله ، بدت عليه الدهشة الشديدة عندما التقت عيناه بعيني وندي ، وتبدلت كلمات بين الرجلين ، بعدها اختلس الرجل الأطول نظرة في الاتجاه الذي تجلس فيه ، وبدا أنهما يتحدثان بشأنها ، واحمر وجهها رغما عنها ، وفجأة هاجمها شعور الوحدة المطلقة ، الذي يضع حاجزا بين المسافرين الوحيد وبين المسافرين في صحبة أصدقاء ومرة أخرى سألت وندي نفسها : لماذا جاءت الى تلك الرحلة ، فقد أصبح التظاهر بأنها سعيدة فوق طاقة احتمالها .

وانصت الى صوتيهما وهما يواصلان سيرهما . انه صوت ينم عن أن صاحبيه من المثقفين ، لكن أحدهما كان صوته أعلى من الآخر ، وبدون سبب على الإطلاق قررت وندي أن صاحب الصوت الأكثر خفوتا هو الرجل الأطول ، وبعد لحظة أو اثنتين كانت تسمع الصوتين مرة أخرى ، وقد أصبحا الآن قريبين جدا منها ، وأدركت أن الرجلين يجلسان أمام

مائدة خلفها ، بينما ظهر الأريكة المرتفع والمنجد يشكل ستارة ويوفر عزلة كافية لمن يجلس على جانبيها .

"أنا متأكد أنها هي يا غارث . انها لينيز مافارو . ذلك الوجه الفاتن ، وهاتان العينان البنفسجيتان الكبيرتان ، وذلك الأنف المرفوع ، وذلك الفم الدقيق . انني أعرفها في أي مكان" .

"كنت أعتقد أن لينيز مافارو شقراء" .
"أحيانا تكون شقراء ، ودائما تكون كذلك في أفلامها ، لكنها اذا كانت ستسافر بشخصية مجهولة ، فان أول شيء تفعله هو أن تخفي لون شعرها" .

"ولماذا تريد أن تخفي نفسها ؟"

"ألم تسمع عن أطوارها الغريبة ؟"

وجاء رد ساخر ينم عن إزدراء :

"الشيء الوحيد الذي أسمع عنها هو أنها عثرت على عاشق جديد" .

وأعقبت ذلك ضحكة ، شعرت وندي أنها صادرة من الرجل الأصغر حجما .

"لا شك أنها تحب أن تزهو بتصرفاتها الا أخلاقية ، لكنها أيضا لديها تلك الميزة الخاصة التي تقودها الى القيام بدور الفتاة البريئة الصغيرة ، وحينئذ تقوم برحلة بحرية وهي تخفي شخصيتها . وتطلق على نفسها اسما يناسب الدور الذي تقوم به . ربما يكون ماري أو ماندي . ذلك الاسم الذي يربط المرء بينه وبين الفتاة الصغيرة الخجول التي لم يقبلها أحد على الإطلاق" .

"يالها من شخصية غريبة ! لم أسمع بمثل هذه الغرابة ، لكنني لا أهتم كثيرا بمن هم على شاكلتها ، فأنا لم أشاهد أي فيلم لها على الإطلاق كما تعلم" .

"أعرف شخصا عمل معها في فيلم ، وهو الذي أخبرني بتصرفاتها الغريبة ومنها أنها ، في الفترة بين تصوير الأفلام ، يحتمل أن تنتحي بعيدا منتحلة شخصية أخرى كالآن . صبت وندي الشاي لنفسها ، ووضعت السكر فيه وأخذت تحركه وهي شاردة ، إذ وجدت نفسها مأخوذة بحديث الرجلين ، وكانت قد سمعت كذلك بالشائعات التي تقول أن

لينيز ما فارو، نجمة السينما ذات الشهرة العالمية، لديها عادة الترحال تحت اسم مستعار، مخفية أيضا شعرها البلاتيني الأشقر الرائع تحت شعر مستعار أسود، لكن ما لم تكن قد سمعته وندي هو أن تلك النجمة تمتلك تلك الصفة الغريبة، وهي الرغبة في الظهور بمظهر الفتاة البريئة، وتساءلت عن التفسير الذي يقدمه علماء النفس إذا طلب منهم أن يذكروا سبب هذه الرغبة.

وبينما كانت وندي ترتشف الشاي سمعت تغيراً في الموضوع، وعلمت أن أحد الرجلين شريك في شركة لوكلاء العقارات في لندن أما الآخر فلم يذكر شيئاً عن مهنته، وقد تحدث قلبلاً، وكان أكثر تحفظاً من صديقه، وقد نم صوته عن الضيق في بعض الأحيان. كادت تراه وهو يرفع يداً واهنة ليمنع التثاؤب، ثم تحدث صديقه مرة أخرى، لكن وندي أخفقت في التقاط كلماته، واعتقدت أنها سمعته يذكر شيئاً مثل "أملي أن تكون قادراً على الاحتفاظ بالسر" لكنها لم تكن متأكدة.

وابتسمت في سخرية بسبب اهتمامها بحديث الرجلين، وطالبت نفسها بأن تعني بشؤونها الخاصة. ومع ذلك، وليس بمبهم، واصلت التفكير في أطول الرجلين، وهي مندهشة لأن عقلها انشغل بأفكار عن رجل لم تقابله إطلاقاً، مجهول الشخصية حتى هذه اللحظة، وخيل إليها أن أطول الرجلين يحاول أن يحتفظ بسر ما.

كادت أن تفرغ من تناول الشاي عندما أرشد المضيف شاباً إلى المائدة المجاورة لها، والتقت عيناه بعينيها وابتسم، وردت وندي بابتسامة مماثلة، ثم التقطت كتابها، وبعد عشرين دقيقة فرغت من شرب الشاي ونهضت وفي نيتها استكشاف جزء من السفينة، لكنها ما كادت تغادر الغرفة حتى شعرت بلمسة خفيفة على كتفها، واستدارت لترى الشاب يمسك بكتابها وابتسم قائلاً:

"تركت كتابك على المقعد".

وانتقلت عيناه اللتان تعبران عن التقدير من تقاطيع وجهها إلى شعرها الأسود الجميل، ثم عادتا إلى وجهها مرة أخرى، فردت قائلة:

"شكراً لك، نسيته تماماً".

ومرت لحظة صمت بدا فيها الرجل كأنه لم يقرر بعد إعطاءها الكتاب أو إذا كان عليه أن يمضي أو يبقى، وأخيراً غامر بسؤالها:

"هل أنت بمفردك".

أومأت وهي تقول:

"نعم، أنا وحدي".

ونظرت إليه بسرعة ولاحظت الوجه الواضح القسمات، والعينين اللتين تحدقان مباشرة في عينيها، والقمم الذي يبدو أنه أصغر وأكثر رقة وعاطفية من أن يكون لرجل، وبعد فترة تردد أخرى قال:

"أنا مثلك بمفردك، أيضاً يذكرك لو رافقتك إلى سطح الباخرة؟"
"لا، أبداً".

وحيرها ردها السريع على طلبه، لكن عندما أدركت أنها لا تشعر بأدنى استياء إزاء اقتحامه خلوتها، توصلت إلى الاستنتاج أنها في عقلها الباطن ترغب في صحبة أي شخص، وسمعته يقول:

"حسناً إذن، وسار صامتاً بضع لحظات قبل أن يستأنف حديثه"
"هل أنت مثلي تخطت عنك صديقة كانت سترافقك؟"

"لا، قررت القيام بالرحلة البحرية منذ ثلاثة أسابيع فقط".
"ثلاثة أسابيع! وتمكنت من العثور على غرفة؟"

أوضحت قائلة:

"الغى بعضهم حجزه".

وصلا إلى حاجز الباخرة فتوقفت وسألته:

"قلت أنك كنت قادماً مع صديق؟"

"أجل، حجز في العام الفائت، كما فعلت أنا بالطبع، لكن بهرور الأشهر ظل يلوح لي أنه لا يستطيع تحمل نفقات الرحلة، وأخيراً قرر بصفة نهائية عدم الاشتراك فيها، واسترد ماله، وأنا الآن أقيم في غرفة فخمة خاصة".

"أنا كذلك، الغرفة لشخصين، فهمت أن زوجين مسنين كانا يحجزانها أصلاً".

"ربما يكون أحدهما مات؟"

قالها مازحاً دون تفكير ثم أضاف:

هل تعرفين أنه في كل رحلة تقريبا من الرحلات التي تستغرق هذه المدة، يلقي شخص ما حتفه ويدفن في البحر؟ يمكنك أن تفهمي ذلك لأن مثل هذه الرحلة باهظة التكاليف الى درجة أن عددا كبيرا من المشتركين فيها من المتقاعدين المسنين الذي جمعوا تلك التكاليف على مدى سنوات طويلة، وإذا أخذنا في الاعتبار عدد الأشخاص الموجودين في الباخرة، ترين أنه من الممكن أن يلقي شخص أو أكثر حتفه في جميع الاحتمالات.

وتوقف عن الكلام، وتجههم وجهه بعض الشيء. ثم قال:
*إنك شاحبة، هل أنت على ما يرام؟
أومأت برأسها ولم تنطق بكلمة، جف حلقها حتى ازدردت لعابها وأخيرا قالت:

*هل اشتركت في رحلات بحرية لقي فيها أناس حتفهم؟
أجل، مرات عدة، كنت في احداها في عيد الميلاد الفائت، ولم تكن مدتها تتجاوز ثلاثة أسابيع، لكن اشترك فيها أكثر من أربعة آلاف شخص، وقد توفي اثنان منهم، كانا عجوزين، كذلك لقي طبيب الباخرة حتفه، وقد دفنوا جميعا في البحر، انهم يفعلون ذلك أثناء الليل حينما يكون باقي المسافرين نياما.*

أثناء الليل، في الظلام! حتى لا يصاب باقي المسافرين بما ينغص عليهم سعادتهم، يلقون في البحر! يستقرون في الأعماق، في الظلام الدامس، وحدهم في المحيط الواسع. لكن ماذا يهم عندما يكون الانسان قد مات؟

وحاولت أن تبتسم وهي تقول:

أرغب في العودة الى غرفتي.

وبدا عليه الاكتئاب قليلا وقال:

هل ضايقتك بهذا الكلام الكئيب؟ انني أسف للغاية.
كان اعتذاره نابعا من شعور حقيقي، وبدا الأسف العميق على وجهه وهو يقول:

كم أنا غبي!

ولو عرف الحقيقة لأدرك أنه أكثر من غبي، وردت قائلة:

لا تفكر في الأمر.

وكانت ابتسامتها اسهل هذه المرة، قررت ألا تعود

الى غرفتها حيث لا تفعل شيئا سوى التفكير فيما قاله، وبالتالي تصبح ضحية معاناة مميتة. ودون أن تأسف لانها تكذب مضت تقول:

هذا لم يضايقني على الاطلاق.

ونظر في وجهها الجميل قائلا:

*كان علي ان أتوقع هذا، ففي الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة

لا يفكر المرء في أمور مثل الموت.

وتوقف لحظة عن الكلام ثم قال:

الى أي مدى كنت قريبا من الحقيقة؟

أراد أن يعرف عمرها، وارتسمت امائر الفرح على وجهه،

اجابته:

انا في العشرين من عمري.

عمر رائع.

قالت:

لكنك لا تبدو أكبر كثيرا.

ست وعشرون سنة ونصف بالضبط.

هل قمت برحلات كثيرة؟

*الى حد ما، عادة اشغل عامل حفر عامين أو نحو ذلك، ثم

أقوم برحلة الى مكان ما.*

لا بد أنك أرهقت نفسك بالعمل لتقوم برحلة كهذه.

واعترف قائلا:

*ورثت شيئا. نصحتني أبي بأن أستثمر الميراث، وقالت أمي

أنه ينبغي لي أن أساعد شقيقتي بشراء بيت لها، فقد تزوجت

حديثا، وأنفقت هي وزوجها أكثر مما ينبغي. تماما كما يفعل

معظم الأزواج الشبان هذه الأيام، ومع ذلك فأنني حالما قرأت

الاعلان عن هذه الرحلة البحرية، قررت أن النصيحة الطيبة لن

تجدي لمن كان من شاكلتي يريد رؤية العالم، وهذه الرحلة

تحقق الكثير لدرجة أنني لم أستطع مقاومة الاشتراك فيها.*

وأومأت وندي شاردة، مدركة أنه يود أن يعرف سبب

اشتراكها في الرحلة، وبعد لحظة سكوت قالت:

اشتركت في هذه الرحلة لأن طبيبي نصحتني بذلك.

واتسعت حدقتاه. واتسم كلامه بنبرة شك:

هل كنت مريضة؟ تبدين لي موفورة الصحة.

ابتسمت قائلة:

"شكرا جزيلا لك، اجل، كنت مريضة".

"حسنا، هذه الرحلة ستفيدك بلا شك".

وتجولت عيناه الأفق. السحب بدأت تتجمع وتحجب الشمس في بعض الأماكن. بعد فترة قال مستفسرا:

"في أية صالة تتناولين طعامك؟ أنا أتناولها في "بريتانيا".

"أنا في "مطعم الملكة".

ردت عليه بهذه الكلمات فرأت الكأبة ترسم على وجهه ثم قال:

"انه مطعم النخبة. أما أنا ففي أرخص مطاعم السفينة".

ولم تقل وندي شيئا، اذ وجدت نفسها في أرقى الأجنحة لسبب بسيط هو أن الحجز ألغي، وكما هي الحال بالنسبة الى بواخر كثيرة ففي "فايسون" درجة واحدة فقط. وثلاثة مطاعم يتم فيها حجز المقاعد وفقا للثمن المدفوع عن كل جناح، وسأل الشاب:

"هل يمكن أن أراك بعد العشاء؟"

ابتسمت وندي وهي تشعر - للغرابة - بأنها تحسنت معنويا فلن تتجول في أنحاء السفينة وحدها، ردت قائلة:

"يكون شيئا لطيفا".

وقدم الشاب نفسه في الحال باسم شو ستيسي، وقالت وندي:

"اسمي وندي "وندي براون".

ضحك قائلا:

"اسم حلو وبري".

اكتفت بالابتسام ولكن، فيما بعد، وهما يتجولان معا في أنحاء الباقية لمحاولة اكتشاف كل شيء، وجدت وندي نفسها تضحك في أكثر من ثلاث مناسبات، وشكرته، في سرها، لروح الدعابة الدافئة التي أبداها، خاصة أنها منذ أكثر من ثلاثة أسابيع لم تظهر الضحكة على شفتيها.

كان الثوب الذي ارتدته للعشاء تلك الليلة من المخمل الأخضر الناعم، له خصر مرتفع وينسدل برشاقة على قوامها الجميل، وضعت في شعرها نجمة صغيرة رقيقة مصنوعة

من الآلى المنمنمة، وهي قطعة حلى قديمة ورثتها من جدتها الكبرى، كانت زينتها الوحيدة الأخرى سوار ذهب عادي مع ذلك عندما دخلت المطعم، تحولت عيون كثيرة في اتجاهها لتتابعها تتقدم نحو مائدتها بإرشاد أحد المضيفين. كانت المائدة لأربعة أشخاص، جلست عليها بالفعل سيدة أخرى متوسطة العمر، ابتسامتها جاهزة تكشف عن صف بارز من الأسنان، وأرادت أن تقترب من وندي بعدما غادر المضيف المكان مباشرة، وسألت:

"هل أنت وحدك يا عزيزتي؟ اسمي مارجي سترومبرغ، الجنسية أميركية".

وفكرت وندي وهي تضحك ضحكة مفاجئة أنه لا حاجة لأن تخبرها بذلك واجابتها أنها وحدها واسمها وندي براون، وهزت السيدة رأسها كما لو كانت تشير بذلك الى موافقتها على الاسم ثم سألت وندي:

"من أي جزء من الولايات المتحدة جئت؟"

"كونيكتيكت يا عزيزتي، زوجي كان يزرع التبغ، لكنه مات خسارة لأنه كان سيستمتع برحلة مثل هذه آه ها هما رفيقانا".

ورسمت السيدة ابتسامة جاهزة أخرى بينما جلس رجلان. أما وندي فكانت أيضا تعتزم الابتسام لكنها شعرت بالخلل، لسبب مبهم تلاشت كل الأحاديث التي تجاذبتها مع مسز سترومبرغ على الفور، لأن هذين الرجلين كانا اللذين رأتهما فوق ظهر السفينة، ثم مرة أخرى في غرفة الملكة لدى تناول الشاي، وتمت عملية التعارف بين الجميع، ووجدت وندي عينيها تنجذبان نحو وجه غارث ريفرز الوسيم، الذي كان يتفحصها بلامبالاة، لكن صديقه حدق فيها بدقة، وارتسمت تقطيع بين عينيها وغمغم بينه وبين نفسه:

"وندي براون!"

ثم غمز بأعرب نظرة الى صديقه:

وقدم الطعام على ضوء الشموع ووسط كؤوس الشراب، وقام بالخدمة موظفون لطيفون يبدو أنهم يستمتعون بعملهم كل المتعة. كيف سيكون حالهم بعد ثلاثة أشهر؟ فكرت وندي وربما قبل هذه المدة بفترة طويلة سيشفرون بالملل

والارهاق من كل هذا السعي بين الموائد لخدمة رفاق اثرى وأسعد حظا يستمتعون بمباهج الحياة، أكثر منهم.

اتسم الحديث بالرسميات الى حد ما في البداية، ورات وندي أن غارث ريفرز هو السبب في ذلك، وبالتأكيد ليس لمارجي سترومبرغ علاقة بهذا لأنها تثرثر طول الوقت تقريبا، أما فريزر غولدن الرجل الذي بدا كأنه عاجز عن تحويل عينيه عن وجه وندي لحظة واحدة، فقد كان ذلق اللسان الى حد ما، أما وندي وغارث فقد قنعا بالانصات، وليس لدى أي منهما أي ميل لأن يفعل أكثر من الاهتمام برقة الطعام اللذيذ الذي يوضع أمامهما، وعندما انتهت الوجبة تبادل الجميع تحية المساء، ووجدت وندي نفسها تغادر المطعم مع مارجي. واندفعت السيدة الأميركية في الحديث قائلة:

"ياله من ثوب رائع، يزيد من جماله أنك نحيلة، أما أنا فإني أحب الطعام كثيرا الآن، وهذا ضعف فظيع يا عزيزتي، لا تسمحني لنفسك أن تصلي الى هذا الحد أبدا. إنك تبدين في العشرين من عمرك، والجرء لا يبدأ وزنه في الزيادة إلا عندما يتجاوز الأربعين."

"الأربعون؟"

عندها فكرت وندي في مرور الوقت بقسوة منذ علمت بمصيرها وتساءلت حول ما سوف تقوله السيدة الأميركية لو أخبرتها بأنها لن تصل أبدا الى الحادية والعشرين، فما بالك بالأربعين؟

وظلت السيدة تثرثر، وكانت ستظل هكذا لو لم تعتذر وندي لتسحب قائلة إن لديها موعدا عليها أن تفي به.

"هل وجدت صديقا بالصدفة؟"

وترددت وندي لحظة لكنها قالت:

"أجل، في الواقع وجدت صديقا."

وبعدما تبادلتا تحية المساء سارت وندي عبر سطح السفينة حتى وقفت بجوار الحاجز لحظات عدة. فلن تقابل شو قبل ربع ساعة تقريبا.

وظهر شخص آخر لكنه كان في هذه اللحظة في الظلال، لذلك لم تر وندي إلا ما يشبه طيفه، ولم تكن لتخطئ طوله ومشيته، فعرفت من هو حتى قبل أن يظهر وجهه وهو

يعبر خلال شعاع ينساب من نافذة مفتوحة لأحد الأتدية الليلية، إنه غارث ريفرز. أحد الرجلين اللذين سيشاركها هي والسيدة الأخرى المائدة بقية الرحلة، وتجهمت وندي وهي تشعر بالاستياء لأنها ستعاني من صحبتها عندما أصبحت واثقة أنها ستبدأ في الملل منه حتى قبل أن ينقضي أسبوع واحد، فقد كان جافا ورسميا للغاية، ومتحفظا في كلامه الى أقصى حد، وظل وجهه النحيل الوسيم لا يبتسم مهما كانت المناقشة الدائرة حوله، والواقع أنه بدا متبرما بالفعل، تساءلت عما سيكون حاله عندما ترسو الباخرة مرة أخرى في ساوثهامبتن في بداية نيسان - أبريل.

وراقبته وهو يتجه نحو جانب الباخرة على بعد أقدام قليلة من المكان الذي وقفت فيه، ورأته يتكئ على الحاجز، وقف ساكنا كما لو كان تمثالا، يحملق في الليل الحالك.

وكانت وندي على وشك أن تتحرك مبتعدة عندما رأت شو يقترب في خطوة رشيقة سريعة، وقال عندما وصل الى جوارها:

"جئت مبكرة. كنت انوي السير على طول السطح لبضع دقائق."

"وبدون تردد اضاف ذراعه الى ذراعها، وسار بها نحو النادي الليلي، وبينما كانا يمران بجوار الرجل الطويل الواقف قرب الحاجز، أدار الأخير رأسه والتفت عيناه السوداوان بعيني وندي، ولمحت طيف ابتسامة على شفتيه، ورأت أن تعبيره يدل على الاستخفاف المختلط بالسرور ورفعت رأسها ولمعت عيناها. ما الذي يشعره بالسرور؟ كانت تسأل نفسها وهي تدخل النادي الليلي مع رفيقها، لو نظر اليها هكذا مرة أخرى اما ترددت في أن تسأله.

المسحج الألوان، ألقتة على كتفها جزافاً، لكن بطريقة مغرية، وسالت:

"هل ستسبح هذا الصباح؟"

أخبرها أنه كان في حمام السباحة بالفعل، وقال بعدما طلب القهوة:

"كنت أفكر أننا يمكن أن نلعب لعبة 'حلقة الرمي' على سطح السفينة هذا الصباح، وإذا كان يناسبك نذهب معا الى المطعم الذي يقدم مأكولات باردة في جناح 'مشروبات المحيط'، ويعني هذا أننا لن نضطر الى الاقتراق لتناول الغداء."

حبس أنفاسه في انتظار ردها وهو متشوق، تبدو عليه لهفة الشباب.

وعبست في داخلها وهي تشعر بالغضب من نفسها لأنها سمحت بقضاء كل وقتها معه بهذا الشكل، فقد ظلا معا ثلاثة أيام بأكملها، ثلاثة أيام تحدثا خلالها وضحكا معا، وسبحا ورقصا وتناولوا المشروبات في 'مطعم المسرح' وشاهدوا أحد الأفلام، واستكشفا الباخرة وقضيا وقتا مرحا في الكازينو.

ثلاثة أيام مشحونة بالعواطف. والآن! نظرت اليه وقالت: "شو، لدى شيء سيخيب أمالك، لا أستطيع أن أقضي وقتي كله معك بهذا الشكل. أريد أن أكون وحدي أحيانا".

وارتسمت الكآبة على وجهه، وأحست بأسى عميق، إذ كان لطيفا الى درجة لا يجب معها عدم إيذاء شعوره، مع ذلك، لو سمحت باستمرار الأمر لوقع في حبها بعد وقت قصير، مما يعني أنه سيتعذب عذابا أليما بعدئذ وغمغم قائلاً:

"أحيانا؟"

وكانه يقدم تنازلاً، أضاف:

"فليكن، لا أريد أن أحترك تماماً، لكن".

وسكت عندما ظهر المضيف يحمل القهوة ويضعها أمامهما، ثم واصل كلامه قائلاً بجدية، وهو ينظر في عينيها مباشرة:

"انني أميل اليك يا وندي، أميل اليك كثيراً في الواقع".
وتشهدت، لأن تلك النظرة كانت تحمل كل آماله، والثقلات فلجأها وبدأت ترتشف القهوة، وبصعوبة بالغة سلمت بالواقع لكنها قالت في حزم:

٢ - نجمة بلا بريق

الباخرة "فايسون" تتجه نحو نيويورك، أول ميناء ترسو فيه أثناء رحلتها، بعد ثلاثة أيام في البحر. أدركت وندي أن شو أصبح مرتبطاً بها فعلاً أكثر مما هو يجب، وصممت ألا تتسبب له في أي أذى، لذلك واجهتها المهمة الصعبة أن تبعده عنها، قبل أن يصبح متعلقاً أكثر رغم أنها أحبتة لكنها لن تشجعه، ليس في هذه الأحوال. فإذا كانت ستدفن في البحر فإنها لا تريد أن تترك وراءها شاباً جريح القلب.

أذهلتها أفكارها في ذلك الوقت، وهي تنظر الى الموقف بمثل هذه الطريقة الموضوعية الحذرة، كما لو كان ذلك ليس موقفها بل موقف شخص آخر، وبما أنها كانت ستقابل شو بعد دقائق قليلة اتخذت طريقها الى حمام السباحة حيث تقابلها في اليوم السابق في الساعة نفسها وتناولوا القهوة معا على إحدى المناضد المصطفة حول الحمام، وكان هو هناك بالفعل، وأكد وجهه شكوكها، إذ أضاعت عيناه الواضحتان حالما رآها تقترب، وكانت ابتسامته طبيعية تلقائية.

"رائعة".

هتف من دون أن يهeme إذا كان الآخرون سيعود. ثم أضاف:

"اللون الأخضر يلائمك تماماً".

ابتسمت وشكرته لاطرائه، وهي تدرك أنها تبدو جذابة بصفة خاصة في السروال القصير، ورداء الشاطئ.

"لا يمكن أن تكون أكثر من رفاق يا شو".

أشار بيديه قائلاً:

"لكنك غير مرتبطة بأحد كما أخبرتني".

وفي نبذة فقور تعمدت أن يتسم بها صوتها ردت قائلة:

"ولا أنوي أن أرتبط بأحد، لأنني ميالة إلى الوحدة".

واردت بحدّة:

"لا... لا أعتقد أن فتاة مثلك يمكن أن تكون كذلك - وندي -

أرجوك أن تكوني صديقتي العزيزة جداً".

ثم مد إحدى يديه إليها عبر المائدة متوسلاً:

وأومات برأسها فهي لم تتسبب طول حياتها في إيذاء أحد

كما تؤذي هذا الشاب، مع ذلك عليها أن تفعل، يجب ألا يتعلق

بها قلبه إلى هذا الحد، وقالت:

"أرى الأفضل لنا ألا نلتقي على هذا النحو أو نخرج معا كما

كنا نفعل فكمنا قلت، أنا ميالة إلى الوحدة، أرجوك لا

تقاطعني، انني أشعر بسعادة أكبر وأنا هكذا".

وهنا حدثت فيه مباشرة وهي تقول:

"أنت نفسك ستكون أسعد حالاً".

ومرة أخرى منعت من مقاطعتها وهي تواصل كلامها:

"انني أعرف ما أتحدث عنه، كذلك ستعرف أنت أيضاً يوماً

ما".

"أنا لا أفهم...".

هكذا بدأ حديثه عندما قاطعته قائلة، وصوتها يفقد نبذة

الفتور متسماً بنبرة رقيقة:

"ستفهم وستفهمني".

وانفجر قائلاً:

"أشرفي لي، لا حاجة بك إلى هذه الطريقة المفاضة في

الكلام. وأطل الغضب من عينيه، لكنها لا يمكن أن تتخذ موقف

الهجوم فإن غضبه نابع من شعوره بالإيذاء، ومرة أخرى

تحدثت بنبرة ناعمة رقيقة:

"التفسير الوحيد الذي أقدمه أنني أفضل أن أكون وحدي.

كانت تلك كذبة فهي لا ترغب أن تكون وحدها خلال الرحلة،

وحدها على مدى الأسابيع القليلة الباقية من حياتها. قال

والمرارة تقطر من صوته:

"فهمت، وينبغي لي أن أقبل قرارك، لكنني أريد أن أخبرك

بصدق أنني كنت أمل في أن نصبح أكثر من صديقين".

وقالت وهي تبتلع غصة أصابت حلقها:

"أنت لم تعرفني منذ مدة طويلة. ولا تعرف أي نوع من

الأشخاص أنا".

مز رأسه. ثم نظر بعمق في عينيها البنفسجيتين الجميلتين

وقال:

"أعرف أي نوع من الأشخاص أنت، أعرف أيضاً أنه كان ممكناً

أن تكوني الفتاة الملائمة لي".

وانتظر، وكان واضحاً أنه يتوقع رداً منها، ربما راوده الأمل

في أن تغير رأيها. وعندما امتنعت عن الكلام قال مرة أخرى:

"يجب أن أقبل قرارك".

وتوقف لحظة وهو يلهو بالملقعة، ثم استطرد:

"ألا يمكن أن نتقابل بين حين وآخر؟ ونذهب للرقص أو

لمشاهدة فيلم؟

وفي الحال هزت رأسها وهي تقول:

"لا، أنا أسفة هذا لن يجدي على الإطلاق".

وخفت صوتها عندما لمحت الرجل الذي يوشك أن يغطس

في حوض السباحة، غارث ريفرز. الرجل الذي يجلس أمامها

أوقات تناول الطعام، عرفت شيئاً أو شيئين عنه في الأيام

القليلة الماضية بعضها لم يعجبها على الإطلاق منها أنه كان

بيدي الفتور والسخرية عندما يدور الحديث حول النساء.

وبينما كان صديقه ثرثاراً كان هو متحفظاً. بدأ فريزر مستعداً

لتقديم بعض المعلومات عن نفسه كان غارث متحفظاً تماماً.

أنه أعزب يراوح عمره، كما قدرت وندي بين الثلاثين

والخامسة والثلاثين. ودائماً يحيط نفسه بجو من الفطرسية

والتعالي. وجدت وندي أن هذا غير محتمل، وكى تنسى كانت

تغوص في حديث مع هارجي سترومبرغ. وعندما كان يحدث

هذا، كانت، لذهنتها، تلاحظ تجهها في بعض الأحيان على

وجه غارث ريفرز المتعالي. ويكون هذا التجهم واضحاً للغاية

إلى درجة لا يمكنها أن تخطئه للحظة. كان يبدو متبرماً إلى

أقصى حد بالسيدات الموجودتين على مائدته ويعتبر حديثهما

سافه يمدل عيني

الغباء . كل شيء قافه . كل تعليق بدون هدف . ومن جانبها كانت وندي تود لو أنه طلب تغيير مكانه، لكن مارجي سلبت لبها نظراته الرقيقة ومظهر الأرستقراطية الذي يحيط به نفسه .

وذات ليلة وهي خارجة من المطعم مع مارجي، يادرتها الأخيرة بقولها :

"النسا سعيدتي الحظ بوجوده على مائدتنا؟ ألا تلاحظين أن الإناث ينظرن اليه نظرات ولهة لكنه محصن تماما ضد متاوراتهن، أراهن أنك أنت وأنا محسودتان من كل سيدة في هذا المطعم ."

وهزت وندي كتفها ولم تقل شيئا، فهي لا تحب ذلك الرجل الى حد كبير لذلك رأت أن طريق الدبلوماسية أنسب الطرق . وقطع شو سلسلة أفكار وندي حين قال :

"لا أعرف لماذا أنت واثقة الى هذا الحد من أن الأمر لن يجدي؟ يمكننا بالتأكيد أن نكون متآلفين معا ."

"متآلفين، أجل ."

ردت وندي بالموافقة وعيناها لا تزالان تنابضان غارث ريفرز الذي أصبح الآن يسيح بقوة . ثم أضافت :

"لكن ينبغي ألا نكون متصاحبين ."

ونظر إليها شو باستغراب، وفتح فمه ليقول شيئا لكنه أغلقه ثانية وارخى كتفيه مستسلما، ثم غير الموضوع، لكن وندي لم تدرك مما قاله شيئا إذ أن اهتمامها كله كان مركزا على غارث ريفرز الذي نظر الى أعلى فجأة فباغتتها وشعرت أن وجهها احمر خجلا، وارتفع حاجباه قليلا قبل أن ينشف الماء، ويتقدم نحو الطرف الأقصى من الحوض .

واعادت وندي اهتمامها الى شو، ومحاولة أن تنصت الى ما يقول، لكنها - للغرابة - كانت مشغولة باليال، وارتاحت عندما استأذن شو بالانصراف بعدما انتهى من تناول قهوته، وتركها جالسة هناك وحدها . سكبت لنفسها فنجانا آخر من القهوة وتركزت الرداء ينزلق عنها، واستلقت تتمتع بأشعة الشمس الدافئة .

كان شيئا لطيفا أن تراقب الناس في الحوض وشعرت بالاسترخاء التام، ومع ذلك أدركت، بخدسها، أنها

سجينة، وأنها قريبا جدا ستنتقل الى رفاق لانقاذها من التفكير المستمر في الظلام الذي ينتظرها، وقررت أن تختار لها صديقة، ومع ذلك فانها في هذه اللحظة قاتعة بأن تحيا في الفراغ الذي لا يوجد فيه مكان للماضي ولا للمستقبل هذه اللحظة هي هذه اللحظة وعليها أن تعيشها .

ومن حين لآخر كانت عيناها تلمحان غارث ريفرز الوسيم، وتصبح عاجزة عن تحويلهما عنه . خرج من الماء وجلس على حافة الحوض بضع لحظات، ثم أمسك منشفة كان واضحا أنه أحضرها معه، واستلقى على كرسي وبدأ يجفف نفسه ثم ألقي نظرة حوله فرأى وندي وحدها، ولدهشتها اقترب من المائدة التي كانت تجلس اليها وتساءل :

"وحدك نجما؟"

وعندما أومات بالإيجاب سأل مرة أخرى :

"أيضا يبك أن أجلس معك؟"

"لا، على الاطلاق ."

ردت وندي بذلك وهي تحاول أن تبدو اجتماعية بينما تحاول أن تكبت مشاعر الضيق التي انتابتها لاقتحامه خلوتها، وبعدما طلب القهوة قال :

"ما الذي حدث لصديقك؟"

كان السؤال عرضيا واعتقدت أنه يتسم بالسخرية أيضا .

"شو؟ ذهب الى مكان ما ."

وظهرت تقطبية خفيفة على وجهه، ثم قال :

"كنت أتصور أن الموضوع يتخذ صفة الجدية ."

مرة أخرى ظهرت لهجة السخرية التي يتسم بها حديثه . وخبرها أن يعاملها هكذا فقد أظهر موقفه الاحتقار الخفيف من اللحظة الأولى للقائهما حول مائدة العشاء ليلة أبهرت الأخيرة، وبدأ كأنه يعرف شيئا عنها لا يعجبه، أما موقف شو برز فكان مختلفا عن موقفه تماما، لكنه مخير بالقدر نفسه وهو أيضا كأنها لديه بعض المعلومات عنها، لكنه تقبل الأمر ومهم على أن يعاملها بطريقة ودية رغم ذلك .

داخليا هزت وندي كتفها بلا مبالاة . لا تهتم الطريقة التي يعاملونها بها . ومع ذلك، نظرت الى رفيقها ورأت جانب وجهه بعدما استدار لسماعه ضحكة أتية من ناحية

الحوض . كم هو وسيم ومن غير المعقول ألا يكون وقع في شباك الزواج حتى الآن ! كان ينظر بطريقة تنم عن الاستغراق في التفكير الى فتاة شقراء رائعة، ترتدي أقصر ثياب البحر وتجلس برشاقة واسترخاء على حافة حوض السباحة، وترتبت برفق على شعرها بمنشفة ذات ألوان بهيجة وبينما كانت وندي تراقبه رأت وجهه يتغير، وابتسامة خفيفة تلمس شففيه، وتذكرت أنها رأت غارث ريفرز يرقص مع هذه الفتاة ويلعب أيضا معها بعض الألعاب على سطح الباخرة .

ووصلت قهقهته، وضع السكر في الفئجان لكنه كان شارد الذهن، ورفعته الى فمه . هنا توقف وانتبه الى نظرة وندي المحدقة فيه، وأدار رأسه والتفت عيناه بعينيها، لسبب دهم تصاعد الدم الى وجهها، وأسدت رموشها الطويلة الحريرية، وبدا كما لو كان يصدر صوتا بغمه، لكنه صوت مكتوم .

تحركت بقلق وهي تشعر كأنها تلهت في مواجهة تلك النظرة الفاحصة المتعمقة، وكان هذا غريبا، وأدركت أنها رغم شعورها بالسعادة منذ لحظات قليلة بأن تبقى وحدها فترة من الوقت فقد شعرت الآن بنوع غريب مبهم من السعادة لأنه يجلس هناك على الجانب الآخر من المائدة .

وتحركت عيناه القاتمتان لتتفحضا ثنيات عنقها الجميل، ثم تلك الثنيات الحلوة أسفلها، وتغير لون وجهها، ولدهشتها مزقت رعشة خفيفة الجلود البارد على وجهه، ومرت لحظة قبل أن يفتر ثغرها عن ابتسامة مترددة، ورأت عينيه تتسعان، وأدركت أنه يحاول جامدا إخفاء اهتمامه بها، وأخيرا قال:

"لم تأت وانت مستعدة للسباحة، لكنني انصحك بغطسة: ما رأيك؟"

وتضاعفت دهشتها من هذه الدعوة وقالت متلعثمة:

"أعني... أن أذهب وأغير ملابسني؟"

وانفجرت الرعشة البادية على وجهه في ضحكة اجاب بعدها قائلا:

"انه شيء واضح".

تحولت نظرته اليها الآن الى نوع من التقدير السافر

ثم أضاف:

"لا يمكن أن تغطسي للسباحة وأنت هكذا".

وبعد ربع ساعة كانت في حوض السباحة، وغارث يسبح قربها وعندما خرجا بعد مدة وجلسا على حافة الحوض يتجفان متفت قائلا:

"كم كان الحمام رائعا ! أشكرك على النصيحة".

وبلهجة رقيقة مهذبة تنبسم بالفرح قال:

"أنا متعة لي، ينبغي أن نكررها مرة أخرى".

واسرعت دقات قلب وندي بشكل أذهلها، وألقت نظرة خاطفة حولها وكلها أمل ألا يلحظ غارث ارتباكها، وفي تلك اللحظة ظهر فريزر، وسأل هل يمكنه أن يجلس، وكما يحدث دائما حينما تكون موجودة، أبدى نوعا غريبا من الاهتمام بها، وهدق لحظة خاطفة في وجهها وعينيها، وركز على شعرها وقطب جبينه كأنما يخيره شيء بشأنها يحاول أن يسر غوره . وكالعادة عبر اهتمامه الفدروس بسرعة وبدأ يثرثر بالطريقة التي أصبحت الآن مألوفة لديها، وفكرت كم من الغريب سرعة تعارف الناس في رحلة بحرية كهذه، يرجع هذا بالطبع، الى الصلة المستمرة مع أولئك الذين يجد المرء نفسه بينهم، اما نتيجة المصادفة، كما يحدث عند المشاركة في مائدة واحدة، او بالاختيار، كما يحدث الذين يختارهم المرء أصدقاء وبعد ثلاثة أيام فقط شعرت وندي كما لو كانت تعرف هذين الرجلين منذ أسابيع اذ من البداية استخدمت اسماءهم الأولى على المائدة .

كان فريزر يتحدث الى غارث بينما وندي تجلس في مقعدها سعيدة بالانصات، تركزت عينها على تلك اليد المدودة بتكاسل فوق المنضدة، يد غارث الطويلة النحيلة . يمكن أن يكون صاحب هذه اليد عازف بيانو او فنانا - هكذا فكرت، لكنه بالطبع مجرد تخمين .

وعلى مدى الدقائق القليلة التالية، ولعدة مرات، أصبحت وندي واعية تماما لعيني غارث وهما تتحولان الى وجهها من أن لآخر، ويتبادلان النظرات - نظرات خاطفة لكنها متكررة، وسرى في جسدها احساس بدغدغة غريبة لم تشعر بها من قبل إطلاقا .

خفت الحديث بين الرجلين عندما جالت ببصرها تحاول اكتشاف مهن الناس، هذا الرجل القوي هناك يمكن أن يكون أحد أكبر رجال الأعمال، وذلك الطويل البارز العظام من المحتمل أن يكون مدير بنك متقاعد. والزوجان الشابان اللذان يسبحان في الحوض، وهزت وندي رأسها عجباً من أن يكون في مقدور مثل هذين الشابين أن يتحملا الآلاف العديدة من الجنيهات التي تكلفها الرحلة البحرية. إن وجود الأشخاص المسنين فوق الباخرة يمكن تفسيره بطرق عدة فهي تعرف زوجين متقاعدين أنفقا مدخراتهما على رحلة بحرية حول العالم من هذا النوع. وقطع صوت غارث السريع الحاد سلسلة أفكارها حينما سألت:

"فيم تفكرين يا وندي؟"

ارتسمت ابتسامة تلقائية على شفثيها وهي ترد قائلة:

"كنت ألعب لعبة التخمين."

وعندما لاحظت أنه رفع حاجبيه تساؤلاً مضت تفسر كانت تفعله. فقال مضيقاً:

"إنك تتساءلين كيف ولماذا يوجد هؤلاء الناس على متن هذه السفينة؟"

وأومات بالإيجاب، ومن دون أن ينتظر الرد استطرد وهو يلقي نظرة حوله بلامبالاة:

"كثيرون يملكون المال والوقت الكافي لقضاء ثلاثة أشهر فوق باخرة للترفيه."

وتوقف لحظة. وحدق مع صديقه فيها بدقة إلى حد أنها بدأت تشعر بشيء من الضيق، وبدأ عقلها يناقش السبب في تحديقهما المفاجيء وأرادت تحويل اهتمام الرجلين عنها، فقالت بلهجة التسليم:

"الواضح أن بعضهم من المتقاعدين، في حين أن الآخرين من الأثرياء، لكن بعضهم يحيرني أمره."

أضافت هذا القول من دون تفكير، وفي الحال تدخل غارث قائلاً وقد ضاقت عيناه:

"أعتقد أنك نفسك تحيرين البعض، إذ ليس من المعتاد أن تشترك شابات وحيدات في مثل هذه الرحلة الباهظة."

وأحمر وجهها، لكنها امتنعت عن ذكر أية معلومات

عن نفسها وهذا طبيعي، وبعد لحظة قال غارث برقة، بطريقة شعرت أن لها مغزى:

"من المحتمل جداً أن هناك سيدات من نجوم السينما فوق السفينة ربما يقمن بالرحلة تحت أسماء مستعارة."

وهزت رأسها وتذكرت أول حديث سمعته عفواً بين الرجلين ثم نظرت إلى غارث وقالت:

"أجل، هذا ممكن، وأتوقع أن يناضلن من أجل الحياة في عزلة لبعض الوقت، بعيداً عن الأضواء والدعاية المستمرة التي تحيط بأمثالهم."

أعقب ذلك صمت غريب ثقيل غامض، وليسبب مجهول رغم أنها لم تستطع بأي حال أن تفسر مشاعرها أو تفهم لماذا تتأثر بالصمت بجمل هذا العمق، شعرت أن الرجلين يشيران فيها الحزن. وقال غارث بلهجة المقلصة نفسها:

"وندي لو كنت نجمة سينما هل كنت تناضلين من أجل العزلة ليلًا؟"

وهمة أخرى أومات برأسها وردت بدون تردد:

"أجل، أعتقد أنني كنت سأفعل ذلك، فالإنسان أولاً وقيل كل شيء، ينبغي أن يعيش حياته، وغض النظر عن مهنته، ألا توافقني؟"

"أجل... أوافقك..."

وقلت عيناه مركبتين على وجهها لمدة طويلة قبل أن يلتفت بعد نظرة سريعة في اتجاه صاحبه ثم نظر حوله بفضول متأفف إلى أولئك المجاورين له، وقال:

"الرجل الكبير على يميني هو بولدريك ستافورد رايمان عملاق صناعة الفزل والنسيج."

وأكمل فريزر بجديّة سريعة:

"والسيدة التي معه هي سكرتيرته."

"والسيدة التي ترتدي البكيني الأزرق اللامع مليونيرة، تقيم في البواخر دائماً."

واستدارت وندي لتتأمل إليه باستغراب وهي تهتف:

"دائماً! دائماً!"

"هذا صحيح، مواعيد جميع الحفلات البحرية ترسل إليها منتقل من سفينة إلى أخرى، وهناك كثيرون يفعلون هذا."

واستطرد يبدد نظرة الشك التي نبذها وتدي ويقول
مبتسما:

"انهم الناس الوحيدون في العالم الذين يجدونها الطريقة
الفضلى للعيش. لكن وندي كانت تهز رأسها اعرابا عن رفض
كلامه وأكدت قائلة:

"لا يمكن أن تكون جذابة دائما. لابد أنهم يعيشون في وحدة
قائلة ويحاولون الهرب منها. انها بأساة."

قالت هذا الكلام بصوت قلق مع نبرة اشفاق، وارتمت
تقطيعة على حاجبي غارث أدت الى اقترابهما الواحد من
الآخر بينما كان ينظر اليها نظرة فاحصة من عينيه اللتين
ازدادتا ضيقا.

"الواضح انك سريعة التأثر بالانطباعات الخارجية."

قال هذه الكلمات بنبرة دلت على ان اكتشافه هذه السمة
الخاصة أثار عجب. لكن لم يكن لديها ما تقوله رداً، وكان

أسلوبه متسما بالسخرية فتصاعد الدم الى وجهها. لماذا يتخذ
هو وفريزر هذا الموقف الخاص ازاءها؟ ما الذي يجدانه

ضحكا فيها؟ قالت انها ستسأل غارث والآن صممت على ذلك
حين وجدت نفسها وحدها معه مرة أخرى. فقد كانت تلحظ

نظرة مرح في عينيها أحيانا وتشعر بوجود طرافة طول
الوقت، لكنها الآن تستشعر ضيقا الى حد ما.

استأذنت بالانصراف، وحينما وصلت الى السلم تبعها شو
وقال بنبرة اتهام:

"لم تقولي إنك تفضلين البقاء وحدك، ومع ذلك كنت تجلسين
مع هذين الاثنين لمدة عشرين دقيقة، وقبل ذلك كنت مع واحد

منهما، كان وجهه عابسا وصوته متسما بالاستياء ورثت
لحاله، وهي تدرك مدى كآبته، لكنها رأت أنها، لمصلحته،

يجب أن تتخذ أسلوبا متباعدا فأترا معه، وقالت:

"ليس بوسعي عمل شيء، لو أتى بعضهم وجلس معي، أنني لا
أحجز طاولة لي وحدي! واحمر وجهه، ونظر اليها بضع ثوان،

ثم استدار، وراقبته بأسى وهو يعود أدراجه. لقد كانت
القطيعة مؤلمة لها لأنها استجعت تماما بالأيام الثلاثة التي

كانا فيها معا ولو استجر هذا بقية الرحلة لكان أنسب لها
للاغاية. إذ أنها كانت تستمتع برفقة مرحية، لا يصبح

لديها أدنى متنسح من الوقت للتفكير في حالتها اليائسة، ومع
ذلك مشاعرها الخاصة يجب إبعادها عن مشاعره هو، إذ أن
شابا ساحرا كهذا ينبغي ألا يعكر حياته شيء يعاني منه
وبالتأكيد فإن وفاتها ستصبح مصدرا معاناة في حياته لو وقع
في حبها.

ومرت الأيام بلا هوادة، زاروا نيويورك ثم غادروها، كذلك
ميناء أيفر غليدز الذي وصلوا اليه بعد ثمانية أيام من أبحار

البأخرة وعثر شو على فتاة أخرى مما أسعد وندي، أما غارث
ريفرز فكان يقضي معظم وقته مع الفتاة التي رأتها من قبل.

وهي نيكول رنتون التي أصبحت متعلقة به بلاشك، لكن مما
لا يزال ماثرا للشك أن يظل غارث منجذبا اليها بالقدر نفسه،

وقد استبعد فريزر هذه الفكرة عندها سألته وندي عنها
بأسب وبقال ضاحكا:

"غارث، يقع في شباك أية فتاة؟ كلا على الإطلاق. إنه أعزب
الفطرة."

كذلك عثرت مارجي على صديق، وهو أميركي توفيت زوجته
منذ ست سنوات تاركة له فتاتين ينشئهما. وأصبحت كلا

الفتاتين تعملان الآن واستأجرتا شقة خاصة لهما تاركين
والدهما حرا يستمتع بأول أجازة له منذ سبع سنوات. وأخبر

مارجي أنها ستكون حسب رايه أجازة طيبة تلك الرحلة
البحرية.

أما بالنسبة الى وندي فبقيت وحيدة معظم الوقت، لذلك
وجدت نفسها تتطلع بشوق الى مواعيد تناول الطعام حيث

يصبح حضور رفاق معها شيئا مؤكدا. كانت مارجي مازحة
دائما، بينما احتفظ فريزر بأسلوبه الودود الثرثار، وحتى

غارث بدا كأنه يصبح معقولا تدريجا، وقد صدق في كلمته إذ
كان بجوار حوض السباحة مرة أو مرتين أثناء وجود وندي

هناك، وسبحا معا، وخرجا وطلبا القهوة، لكن كان هذا كل
شيء، وظلت طيلة الوقت الباقي وحدها. وهي تحمل معها

كتابا أينما ذهبت، وكثيرا ما كانت النظرات الفضولية تنجس
نحوها، وهي نظرات بدأت تستاء منها رغم أنها كانت تحدث

نفسها بأنها غلطتها هي. لم يكن ينبغي لها أن تشارك في
الرحلة البحرية منذ البداية فكونتها تقضي أيامها

الآخيرة على الباخرة في وحدة مطلقة أمر غاية في الغباء .
على أرض بلدها كان يمكنها أن تقوم بوظيفتها كالمعتاد حتى
النهاية .

وفضلا عن زملائها في العمل فإن لها أصدقاءها . لكن هذا
فات أوانه الآن إلا إذا قررت أن تترك الباخرة في أحد
الموانئ التي ترسو فيها وفي هذه الحالة ستعود الى انكلترا
حيث لا تملك بيتا تلجأ اليه ، ولا أموالا تحصل بها على البيت ،
فكل ما تبقى لها بعد دفع نفقات الرحلة البحرية كانت
مصاريفها الشخصية ، وفكرت أن تدخل دار التمريض قبل
الموعد المحدد ، لكن هذه الفكرة لم تلق قبولا لديها بأية حال .
هتفت مارجي بأسلوبها المؤكد المعتاد :

"نصل الى كيوراساو في ساعة مبكرة من صباح الغد !"
وسألت وندي :

"ما الذي ستفعلينه يا عزيزتي؟ لم تقومي بجولات
نيويورك وميناء أيفر غليدز ."
"لا ، لم أكن أعتقد أنها ممتعة الى هذا الحد . ثم أنني أوشك
مالي لشيء أفضل ."

أضافت هذه العبارة وهي تبتسم ، وادهمشها أن ينظر اليها
الرجلان تلك النظرة السريعة ، وغضا النظر في الحال لكنهما
تركها حائرة للغاية إزاء ما حدث خلال تلك الثواني القليلة .

"هل ستقومين بجولة الغد؟ لقد زرت كيوراساو من قبل وأحب
الجزيرة كثيرا في الواقع ."
"أعتقد أنني سأقوم بالجولة ."

وقال غارث :

"يمكنك أن تقومي بجولة في العاصمة ، ربما تكون ممتعة ،
لكن لاتنسي أن الصناعة الرئيسية في كيوراساو هي تكرير
البتروول ."

"لهذا نجد شاهدا على ذلك في جميع أنحاء الجزيرة؟"
"ليس في جميع الأنحاء ، لكنك ستجدين الدليل على ذلك
بالتأكيد ."

وقالت وندي بلهجة من أتخذ قرارا :

"في هذه الحالة سأجول وحدي ، لأوفر مالي لجولات أميركا
الجنوبية ."

"الجولة في كيورا ساو لا تكلف كثيرا ."

قال فريزر هذه الكلمات بنبرة من يهون من قدر الشيء ، ثم
اقتلس نظرة الى غارث الذي لاحظت وندي أنه زم شفتيه
تعبيرا عن الاستخفاف ، وتجهمت في حيرة قبل أن تدرك أن
الرجلين يمكن أن يعتبرا هذا التردد دليلا على البخل ، داخليا
شعرت بالضيق من هذه الفكرة لذلك حدثت غارث بنظرة
غاضبة ، لكن بعد فترة وجيزة صارت تفكر بأنه لا يهم كثيرا
ما يعتقدانه بشأنها .

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي رست الباخرة
في الميناء وبعد التاسعة بقليل ، نزلت وندي الى الجزيرة ،
وبدأت تتجول في شوارعها حيث تسطع أشعة الشمس
الاستوائية الحارة ، ويسودها الطابع المعماري الهولندي
ويرجع تاريخه الى القرن الثامن عشر فمبانيها تتوهج بألوانها
البهيجة وكأنها مبان يصفها كتاب قصصي قديم . والسبب في
ذلك أن أحد حكام الجزيرة يكره التأثير المبهز لأشعة الشمس
على المباني البيضاء ، لذلك أمر بطلاء المنازل بألوان مختلفة .

وبعدما تجولت وندي حول منتزه فيلهميثا قررت الاسترخاء
بعض الوقت ومعها فنجان قهوة وكتابها ، وجلست في مقهى
فندق كيوراساو انتركو ننتنال وهو مبنى فخم تم بناؤه
بدقة داخل جدران قلعة ضخمة يرجع تاريخها الى القرن الثامن
عشر عند مدخل ميناء فيلمستاد عاصمة الجزيرة ، وإذا ألقت
نظرة خاطفة حولها ، لمحنت غارث بقامته الطويلة ، وتسارع
نبضها وكادت أن تخفض رأسها لولا أنه رآها ، لذلك اضطرت
الى الرد على تحيته عندما رفع يده ، وتأرجحت ابتسامة على
شفتيها وهي تراقبه يقترب من طاولتها . كم هو طويل
ووسيم ! قطعت خطواته الواسعة المسافة بسرعة اكبر مما
يلزمها لتستعيد سيطرتها

وأخذت تضم يديها ثم تعود فتفردهما بطريقة عصبية بعض
الشيء رغم أنها لم تستطع أن تتبين سببا لتوترها . ووقف
غارث قريبا يلقي نظرة فاحصة ناقدة للقاعة .
"هل يمكن أن أبقي معك؟"

سألها برفقة وجلس بدون أن ينتظر الرد ، وسرعان ما

امتدت ساقاه الطويلتان أمامه، واتكأ الى الخلف على المقعد
بتلك الرشاقة الفاترة التي لاحظتها من قبل، ثم سأل:
"هل قمت بجولة لطيفة؟"

"أجل، شكرا لك."

وتوقفت وندي قبل أن تسأل:

"أين صديقك؟"

ابتسامته المفتحة شقت فيه الصارم وجاء رده التهكمي:
"وجد لنفسه فتاة."

ورفع يدا امرأة فاقبل أحد المضيفين، وبعدما طلب القهوة
استدار نحو وندي وأخذت عيناه الداكنتان تجوبان وجهها
الذي احمر خجلا، وظل على هذه الحال لحظة طويلة بلامبالاة
قبل أن يقول:

"أين كنت؟ تراقبين الجسر الشهير يفتح لمزور السفن كما
أتوقع؟"

وردت بضحكة:

"لا... لم أكن أراقب الجسر بل كنت أتمشى في المنتزه."

"حقا؟ لكنك بالتأكيد تعرفين أن أول شيء يفعله أي زائر
لميناء فليميستادهو أن يقف مشدوها تماما وهو يراقب جسر
الملكة ايما إذ يفتح للسفن؟"

ولم تقل وندي شيئا ومضى غارث في حديثه ليخبرها بأن
ذلك كان في وقت من الاوقات أحد الجسور التي تجمع عندها
ضريبة الاسواق وقال:

"لو كنت ترتدين حذاء لكان هذا سيكلفك سنتين، أما بالنسبة
الى الحفاة فكان المرور مجانا."

ونظرت وندي اليه باهتمام وهي تقول:

"بالها من فكرة غريبة!"

"الفكرة الأصلية كانت طيبة، فالمرء يدفع حسب وضعه
الاجتماعي لكن كان هناك بالطبع أناس ذوو كبرياء يستعبدون
أحدية لمجرد أنهم لا يريدون التعرض لمهانة اعتبارهم فقراء،
من ناحية أخرى هناك أميركيون أثرياء يحملون أذيتهم
تحت أذرعهم ويمرون دون أن يدفعوا شيئا، وذلك لمجرد
المزاح."

وضحكت وندي ضحكة صافية رائعة أدهشتها،

واجتذبت اهتمام غارث الى درجة أنه ظل يركز على فهمها
الجميل مدة طويلة جعلها تحس بالقلق، وكان تعليقها غير
المتوقع على الإطلاق:

"إنك فتاة غريبة، غريبة جدا في الواقع."

وفكرت في أن الوقت مناسب لسؤاله عما يضحكه فيها، لكن
كل ما قالته هو:

"إنني لا أفهمك."

وارتفع حاجباه قليلا، وفي هذا الوضع كان أسلوبه تهكميا
لكنه لا يخلو من الرقة والكماسة. وقال بدون توقع جواب مرة
أخرى:

"أخبريني، ألا تفتبرين نفسك غريبة؟"

وتجهمت وهي تشعر بذهول تام من كلماته وسألت:

"هل أبدو غريبة حقاً؟"

كانت تريد أن تعرف وهي تسأل نفسها إذا كانت تنصرف
لفعل، بسبب ما تنوء به من أفكار، بطريقة غريبة وقال:

ظاهريا، لا، لكن..."

وبعد فترة تردد أضاف:

"لكن هذا كله ليس ظاهرا، ليس كذلك؟"

ومرة أخرى تجهمت لا لأن عبارته محيرة فقط ولكن لأنه
تردد لسبب غامض - قبل أن ينطق باسمها وفكرت - لو لم
تكن الفكرة مضحكة أنه ربما يعتقد أن هذا ليس اسمها على
الإطلاق! وقالت:

"إنك تتكلم بالألفاظ... لا أستطيع أن أفهم شيئا مما تقول."

والتفت عيناها بعينيها في تحد وقال:

"لا، إذا لا تشغلي بالك، سنطرح المسألة جانبا..."

وغير الموضوع قبل أن تتمكن من توجيه سوءال آخر، وأخذ
يتحدث كيفما اتفق عن الأماكن الهامة التي ينبغي زيارتها
في أنحاء الجزيرة لكنها كانت لا تزال تفكر في كلماته
الغامضة، فلم تشترك في الحديث إلا اماما، وبدا أنه تضايق
إذ أصبح الجو بينهما ثقيل الوطأة الى درجة أنها عندما
تكلمت كانت نبراتهما متكلفة وأخيرا قال:

"حسنا، سأذهب، لا تضلي الطريق وبذلك تفوتك الباخرة..."

وجلس حيثما كانت وأخذت تراقبه بتمعن. لاحظت

طريقته المهيبة في السير، وخطواته الطويلة الرشيقة التي قطعت المسافة بينهما وبين الباب بسرعة ومن دون أن يلتفت وراءه مضي، وفجأة أدركت أن الاحساس بالفراغ بدأ يزحف اليها، وعضت شفتيها خوفاً من وحدة اليوم المقبل، هل تعود الى السفينة؟ لن تبصر قبل السادسة، لذلك لا جدوى من العودة والبقاء فوق سطحها، هل تستأجر سيارة أجرة؟ أجل يحتفل أن يكون ذلك هو الرد. وبما أن غارث دفع حساب القهوة نهضت وغادرت الفندق للتوجه الى أقرب موقف لسيارات الأجرة، فوجدته خالياً وهو أمر طبيعي إذ فكرت في مئات الأشخاص الذين نزلوا من الباكسة لذلك معقول أن جميع السيارات المتوفرة استؤجرت منذ فترة طويلة.

وبعدما قررت أن تمضي اتجهت نحو اليوندا - وهو أقدم جزء في المدينة - حيث أخذت تتجول بين المحلات التجارية التي تراوحت بين أماكن صغيرة شبيهة بالأسواق الشرقية ومحلات كبرى على أحدث نظام شهورته، وكانت الاسرار رخيصة حيث أن كيوراساو ميناء حر تقريبا، غير أن وندي لم تشتر شيئا على الإطلاق متسائلة: ما الفائدة وخيم القنوط عليها، ونتيجة لذلك تناقلت خطواتها ما فائدة أي شيء وقطع تساؤلها بحدة صوت بوق سيارة وقفت الى جوارها وهي تتأهب لعبور الطريق.

"هل تحبين مرافقتي؟"

جاءت الدعوة من غارث الذي جلس أمام عجلة القيادة وأكمل:

"استأجرت سيارة للنهار كله."

وأضاعت عيناها. لو علم فقط مدى ثقل الهم الذي أراحه عن قلبها! وقالت بضحكة صغيرة مرحة:

"شكرا لك يا غارث. بالطبع أود مرافقتك. إنه كرم زائد منك."

وكانت تلحظ قليلا ونظر اليها بتعبير مندهش ونزل ودار حول السيارة وفتح لها الباب، ثم قال:

"لا حاجة لعبارات الشكر العسرفة، إنني سعيد بهذه الرفقة." ولأنها كانت تعلم أنه يعني ذلك انتابتها موجة سريعة من المرح والعرفان بالجميل:

"ينبغي أن أشكرك يا غارث."

غمغمت بهذه الكلمات في خجل هذه المرة بسبب الطريقة الغريبة التي نظر بها اليها، وأضافت بسرعة عندما لاحظت أنه بدأ يحرك شفتيه استعدادا للكلام:

"لا تسألني لماذا، أرجوك."

ربما لم تكن تستطيع أن تخبره بأنها هابطة في أعماق اليأس وسابحة في مجاهل الخوف وهي ضائعة ووحيدة تماما، ولا يمكنها أيضا أن تشرح له أن عرضه جاء كنجمة مضية لامعة لتنقذها موءقتا من تلك الوحدة، ودون أن يتحدث بدأ يتحرك بها تاركا المدينة خلفه في طريقه الى الريف حيث يعيش القرويون بعيدا عن الأضواء البراقة وعن مباني العاصمة. بعيدا عن معامل تكرير البترول وفنادق السياح.

وأخيرا قطع غارث الصمت المخيم وقال:

"لا داعي للادعاء بأنها تتمتع بالجو الساحر الغريب مثل بادويس أو سانت توماس."

ومضى يشرح أن السبب في ذلك هو أن كيوراساو جزيرة صخرية داكنة بعض مناطقها جرداء والمياه واحدة من أكبر مشكلاتها، وأضاف:

"يتم تقطير مياه البحر الى مياه عذبة لكن هذه العملية باهظة التكاليف الى حد كبير، وعلى كل فإن الحكومة واجهت المشكلة وأصبحت المياه العذبة متوفرة الآن لأفقر طبقات الشعب في الجزيرة."

وعلقت بقولها:

"يبدو أنك تعرف الكثير عنها، وعن الجزر الأخرى، هل قمت برحلات كثيرة في الكاريبي؟"

"قضت بضع سنوات منذ أن قمت برحلات."

كان هذا جوابه المقتضب، وجذبها شيء في نبرته الى اللقاء نظرة على يديه اللتين تمسكان المقود بسهولة موهلة. لم تفكر في أنه عازف بيانو لأن تلك المهنة لا تتناسب مع مظهره العام ومع ذلك كانت يداه حساستين بأصابعهما الطويلة النحيلة وأظافرهما المقصوفة القصيرة جدا. فهمت أنه رسام، لكنها استبعدت هذه الفكرة. إذن ما هو عمله؟ وفجأة ابتسمت ابتسامة عريضة لنفسها وهي تتعجب، لماذا تتناقش

يمثل هذه الطريقة الغربية حول عمله، يحتمل أنه لا علاقة له
على الإطلاق بهاتين اليدين الطويلتين الحساستين.

٣ - سر المهنة

رغم أن وندي تمتعت بالنهار الذي قضته مع غارث في
جزيرة كيوراساو، اعترفت لنفسها بأنها كانت ستستمتع به
أفضل لو أن موقفه أزاءها كان أكثر ودا وأقل سخرية ولا
شوبه تلك الاستخفافات المختلطة بالسرور والذي لاحظته من
قبل لقاء به، وتمنت لو اكتشفت سبب أسلوبه معها، وتمنت
أيضا لو تعرف لماذا أسلوبه يؤدي مشاعرها، لأنه في الواقع
كان يؤدي مشاعرها بطريقة غريبة جبهة تسربت إليها
تدريجا، فكادت لا تلاحظ كيف بدأ ذلك التأثير، وعلى أية
حال تدرك لحظة ايداء صغيرة في كل مرة تلقي فيها بملاحظة
ساخرة أو يرفع هذين الحاجبين الداكنين بتلك البهجة
الساخرة لشيء قالته، وأصبح لديها الانطباع بأنه يعتبرها من
الفتيات اللواتي يتظاهرن بسذاجة ليست فعلا من طبيعتهن،
ومع وجود هذا الشك في ذهنها وجدت وندي نفسها تمتنع عن
التحدث بتلقائية أو التعبير عن إعجابها بشيء مثير للاهتمام
أو الإعجاب. وفي بعض الأحيان، عندما كانت تنسى أن تكون
هذرة وتعبّر عن نفسها بملاحظة بريئة كانت عيناه تنطقان
بذلك الاستخفاف الممزوج بالضحك، وحينئذ تجد نفسها
متوردة الوجه خجلا مما يزيد سروره وفي مناسبتين حدث أن
أطلقت ضحكة سريعة على سذاجتها مرة عندما عبرت عن
إعجابها بمنظر الأكواخ الصغيرة التي كان بعض المواطنين
يعيشون فيها، وهي أكواخ ذات سقوف منخفضة من القش،
تحيط بها مجموعة غريبة من ألوان الأزهار والأعشاب

التي تنمو في الحداثق، أدار رأسه لحظة وقال:

"هناك شيء يتعذر فهمه بخصوص فتاة مثلك يا وندي".

"سمعتك تقول شيئا كهذا من قبل". كان هذا هو كل ما ردت به رغم أنها ما كانت تنفر من سؤاله ولا تعرف ما يعنيه بهذه المبارات:

"وأعرب عن موافقته قائلا:

"أعتقد أنني فعلت".

ثم رفع إحدى يديه ليمنع تناؤبه، هل بدأ يضجر حقيقة أو أن حركته كانت تستهدف مجرد تضليلها بأنه يعني ذلك فعلا؟

فقال دون تفكير:

"لو أن هناك شخصا يتعذر فهمه فهو أنت".

وأعقب ذلك صمت مطبق قبل أن يبده غارث بضحكة وقال:

"الواضح أن كلا منا يجد شيئا محيرا مبهما في الآخر".

أومات بالموافقة، وهي تدرك أنها تشمر بالبهجة لأضحك، ففلك الضحكة غيرته وأدت الى شيء جذاب للغاية بشأنه، وظلت تفكر لحظة أو اثنتين في هذا التغيير، وقررت كما فعلت من قبل أنه رجل يصعب فهمه أذ يبدو أحيانا ساخرا فظا وأحيانا أخرى جذابا للغاية.

"أوه... انظرا".

هتفت بذلك ناسية تماما موضوع الحديث بينما أضاعت عينها وهي تلمح أشجار الصبار العملاقة التي تنمو بوفرة على جانبي الطريق، ثم قالت:

"لا بد أن طولها عشرون قدما".

وهز رأسه قائلا:

"إنه صبار شائك ينمو فعلا الى نحو هذا الارتفاع".

وأشار الى الأشجار العالية في الحقل الواقع على جانب الطريق وقال:

"أتلاحظين أن أغصانها تمتد بزوايا قائمة على جانب واحد من الجذع؟"

"أجل، كم هي غريبة! ما السبب في ذلك؟"

"الأغصان موجودة على الجانب المواجه للريح في الجذع، وتتأثر بالرياح التجارية".

وهزت رأسها قائلة:

"أجل، أنني أفهم الآن".

عبرا منعطف الطريق التالي، حيث امتد أمامهما منظر جميل لبیت وسط مزرعة تتألق حدائقها بالألوان الاستوائية، وانتزع هذا المنظر شهقة إعجاب من وندي. قال غارث جوحا:

"أنها الأشجار المتوجهة وهي تنمو الى ارتفاع نحو ستين قدما".

واستمر في طريقهما فرورا بأسوار نبات الجنازي الرائع وأزهار اليوجنقيا والبغلي الجميلة وعديد من الأزهار الأخرى الرائعة التي تنمو بوفرة في هذا الجزء من العالم.

وبعد جولة استغرقت ساعتين رجعا الى العاصمة وتسلفا تلة ليتناولوا طعام الغداء في مطعم قلعة ناساو حيث جلسا في الشرفة واستمتعا بنسمات الريح الباردة وهما يتناولان وجبتهما.

وبعد ذلك واصلا طريقهما الى الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة حيث الشواطئ البديعة في خليج كنيب والمياه الاسبانية، ثم بعد جولة حرة سريعة في المدينة، قال غارث ان الوقت حان لاعادة السيارة الى صاحبها، وقبل الخامسة عاذا الى الباخرة فايسون، وشكرت وندي غارث مرة أخرى، وكان صوتها هادئا ذا نبرة تدل على الاخلاص، وعيناها أكثر لمعانا وتجاوبا، وحدث غارث فيها، وبدا كما لو كان ضحية مشاعر متصارعة، محزقا بين الرغبة في أن يحبها، والرغبة الأقوى في إبقائها بعيدة عنه.

ولم تعتقد أنه مال اليها على الإطلاق في الوقت الحالي حتى بعد أن طلب منها مرافقته في جولته في أنحاء الجزيرة، فقد قدم العرض فقط لأن صديقه مجره الى رفقة امرأة أكثر جاذبية فوجد نفسه وحيدا.

وعادت الى حجرتها لتغيير ملابسها استعدادا للعشاء.

جاءت مارجي تبهر الابصار في ثوب من اللامية متعدد الألوان ولسانها يتدفق بالكلام كحالها دائما، كذلك أخذ الرجلان يثرثران، لكن شيئا ما بشأن غارث أقنعه بأنه يمارس تهديبا زائفا، وحيرها أمره فهل يفضل لو كان

على طاولة جميع الجالسين اليها رجال؟

بعد العشاء قامت وندي بجولة في أنحاء الباخرة وحدها لكن لحقت بها مارجي وصديقها دينبي نورتون الذي دعاها الى مرافقتهم الى الرقص قائلا:

"عزيزتي، أننا نشعر برغبة في الرقص، هلا جئت معنا، ليس من الصواب أن تظلي وحدك".

هل كانا يشهران بالشغفة عليها؟ كرهت الفكرة لكنها وافقت على مرافقتهم رغبة منها في عدم مضايقة السيدة الأميركية. كان الحاضرون منهكين بالرقص فعلا، كل اثنين معا وعندما قالت مارجي انها تود أن تتناول شرابا أولا دعا دينبي وندي الى الرقص معه.

وبعد عدة دقائق ألقت نظرة خلف كتفها فرأت غارث يدخل مع نيكول وقد اتجها نحو البار، حيث طلب غارث شرابا له ولرفيقته، وبعدما اختارا طاولة مجاورة لطاولة مارجي جلسا وأخذ هو يجيل بصره في الراقصين، ومن دون أن يبتسم رفع يده بالتحية الى وندي التي أومأت برأسها، ثم عاد الى رفيقته وانخرط في الحديث معها، وبنظرة المرأة قيمت وندي ملابس الفتاة وزينتها وقررت أنه رغم أن نيكول ذات جمال لا يتكره أحد فإن هناك قدرا معيناً من الفروق في وجهها، كما أن ملابسها تنم عن قلة الذوق. فمن الواضح أن الثوب الذي ترتديه، باهظ التكاليف لكن زيه ليس مناسباً، فالوسط العالي لا يناسب خطوط جسمها المثير كذا الحذاء الثمين لا يتناسب وقماش الفستان.

مع ذلك كانت مهتمة بها، لأن محاولتها مقاومة النظر اليها عندما مرت هي ودينبي أمام طاولتها ذهبت سدى وتأسفت وندي وهي تتعجب لماذا تهتم الى هذا الحد بالفتاة، ولاحظ غارث هذا، وأصبح تعبيره مبهما عندما التفت عيناه بعينيها للحظة خاطفة، وخفضت وندي جفניה وهذا روعها عندما أصبحت وسط حلبة الرقص.

سألت مارجي عندما عادا الى المنضدة وجلسا:

"هل استمتعت بالرقص؟ انك ترقصين رائعا يا عزيزتي".

"شكرا لك - أجل، استمتعت كل المتعة".

كان صوت وندي منخفضا، لكنها أدركت أن غارث

يمكنه سماعه. ولم يأت المضيف. لذلك نهض دينبي ومضى يطلب شرابا له ولوندي وآخر لمارجي وترك الاثنين وحدهما. وقالت مارجي وهي تختلس نظرة من فوق رأس وندي الى الطاولة المجاورة:

"هل تعتقدين أن صديقنا الوسيم غارث وقع في شباك الحب؟"

"لا أستطيع أن أقول ذلك".

قالت وندي متجهة مما أثار دهشتها من نفسها:

"ظهرا معا في مناسبات عدة حتى الآن".

وأجابت وندي وصوتها مازال منخفضا، وهي تخشى أن يسمعه غارث:

"لا اعتقد أن غارث سيكون جادا مع أية امرأة".

"لا، ربما كنت على حق يا عزيزتي! على الأقل حسب الظاهر أنه لم يقع في الحب حتى الآن".

"الظاهر؟"

"لا يمكنك أن تكوني متأكدة على الإطلاق، فله من العمر ما يكفي ليتزوج ويطلق مرات..."

وضحكت وندي قائلة:

"أراك سيئة الظن جدا. أنا متأكدة أنه لم يتزوج إطلاقا ويقول فريزر أنه عازب بالولادة".

"حقا؟"

قالت مارجي ذلك وهي مستغرقة في التفكير بينما اختلست النظر مرة أخرى نحو الرأس الأسود للرجل موضوع الحوار،

وأضافت:

"أذن فهو يعرفه منذ مدة طويلة؟"

"لم يقل شيئا عن ذلك".

"هل أخبرك ما هو العمل الذي يكسب منه غارث عيشه؟"

وهزت وندي رأسها وهي تقول:

"كلا، الواقع أنني لم أتمكن من سؤاله".

ولاحظت وندي النظرة المتسائلة التي ارتسمت على وجه رفيقته وأضافت تقول:

"أو كان غارث يريدنا أن نعرف لذكر شيئا عن ذلك قبل الآن

لأننا كما فعل فريزر، في بداية تعارفنا، لدي شعور بأنه

لا يريد أن يعرف الناس ماذا يفعل .

"شيء مضحك، هذا هو بالضبط انطباعي وفي أي حال فأنتني أزداد فضولا يا عزيزتي، وهكذا يمكنك أن تتوقعي أنني سأكتشف قبل أن يمر وقت طويل ماذا يعمل رفيقنا الموسيم ."

"قررت في وقت ما أنه يعمل عازف بيانو ."

"تقصدين يديه؟ انهما تلفتان النظر . اليس كذلك؟"

"أعتقد أيضا أنه يمكن أن يكون رساما ."

أضافت وندي هذه العبارة وهي توميء برأسها علامة الموافقة على ملحوظة مارجي بشأن يدي غارث .

"ليس رساما، فهو غير حساس إلى هذه الدرجة ولكنه رجل عنيف ."

"وساخر ."

"لا بد أن أوافق على ذلك، ويعرف أيضا كيف يبدو متعاليا ومستبدا . مع ذلك فهناك شيء جذاب فيه، برغم طريقته المثيرة للسخط إلى حد ما في توجيه ملاحظاته اللاذعة ."

وتوقفت مارجي عن الكلام فجأة بينما اتسمت حدقتها وهي تنظر إلى وجه وندي، لكن نظرتها سرعان ما تحولت نحو غارث الذي أصبح ظهره أمامها الآن وواصلت كلامها .

"ألا تجدينه جذابا يا عزيزتي؟"

سألت هذا السؤال وقد اتسم صوتها بنبرة غريبة وردت وندي .

"من حيث شكله أكيد ."

"هل يمكن أن تقعي في حبه؟"

واحمر وجه وندي خجلا من هذا السؤال المباشر، وأجابت بسرعة بالنفي قائلة أنها لا يمكن أن تقع في حبه، ثم أضافت بابتساز:

"رجل يمثل هذا الغرور؟ إطلاقا ."

هزت السيدة الأكبر سنا كتفيها استهجانا وقالت من دون أن تبدو نيرة أسف في لهجتها:

"فكرت فقط أنكما يمكن أن تكونا زوجين مناسبين تماما، قصة حب فوق سطح السفينة، وزواج سيكون شيئا لطيفا لو حدث:

تنقست وندي الصعداء عندما رأت دينبي يقترب، بعدما

طلب المشروبات .

"ستكون المشروبات هنا بعد لحظات ."

قال هذه العبارة وجلس مبتسما لمارجي ووندي، ثم لمح غارث ورفيقتة قابتسم لهما وقال:

"ألا تجلسان معنا سنكون أسعد حالا ."

وافق غارث ورفيقتة وقال دينبي:

"كنت الآن اتحدث مع هذا الرجل هناك . هل تعرفون ماذا يفعل ."

أنه يملك صالة للعب البليغو ."

حدقت وندي وهي غير مصدقة وقالت:

"تعني أن صالة البليغو تؤمن لك حالا وفيما يقوم برحلة كهذه؟"

أعتقد أن ذلك صعب ."

وقال دينبي وهو يدق على المنضدة تأكيداً لكلماته:

"ليس هو فقط لكن زوجته وخمسة أبناء أيضا! جميعهم في السفينة ."

وعيمغ غارث قائلا وقد شابت كلماته نبرة احتقار لا يخطئها أحد:

"ما الذي يجعل الناس يبذرون أموالهم على أشياء مثل البليغو؟"

قالت مارجي للهروب من رتابة الحياة اليومية .

وأضافت بلهجة العارفة بالأمر:

"وروح العقامرة الدفينة داخل كل واحد منا، لاجدوى، يا أعزائي، من انكار أننا جميعا نحب الاثارة في بعض الأحيان ."

وأدارت رفيقة غارث رأسها الجميل وحدقت بشدة في

السيدة الأميركية وانفجرت قائلة بلهجة ازدراء، وقد تقوست

شفاتها تعبيرا عن السخرية:

"أنتي واحدة ممن لا يقامرون إطلاقا، بالنسبة إلى ارتياد صالة

بليغو فأنتي لا أحلم على الإطلاق بمثل هذا الشيء ."

ورغم أن وندي لم تدخل هي أي صالة بليغو فإن شيئا ما

جعلها تقول، دفاعا عن أولئك الذين ارتادوها:

"ربما كنت من بين سعداء الحظ الذين لا يحتاجون إلى

الهروب، يا مس رينتون ."

وأضاعت عينا الفتاة الخضراوان اللتان تشعان حيوية

وهما تستقران على وجه وندي، وأخذت مارجي تراقبها هي ووندي وتفكر أنها لم تصادف إطلاقاً من قبل مثل هذا الاختلاف الشاسع بين اثنين من الجنس نفسه والتقارب في السن أيضاً، فحسبما رأت كانت احدهما غير متكلفة إطلاقاً بل طبيعية تماماً وصريحة وعاطفية، فتاة منذ لحظة اللقاء بها تغير الحيرة للغاية وتشعر أنها تواجه مأساة أو خسارة أو أية كارثة عاطفية أخرى، ومن ناحية أخرى فكرت مارجي، ان نيكول رنتون من نوع الفتيات اللواتي يسعين لاصطياد أحد ذوي الثراء، مليونير على الأقل وله لقب كبير لو أمكن، وفلال حساباتها وأرائها الخاصة أصبحت على اقتناع غريب بأن وندي تفوق الفتاة الأخرى في كل شيء، حتى في ملابسها مع أن ثياب وندي، حسب مارجي لا تعادل قيمتها عشر قيمة ثياب نيكول لكن ذوق ملابسها جذب أكبر عدد ممكن من الرجال.

"جعلت كل همي إيجاد وسائل أخرى للتسلية".

كان هذا رد نيكول الحاد على سؤال وندي التي حدث أن التقت عيناها بعيني مارجي ورأت على شفيتها تلك العبارة: أراهن على أنك تفعلين ذلك يا فتاتي! وارتعشت شفتا وندي وهي تحاول الاحتفاظ بوجهها هادئاً. ثم قررت أن تغير الموضوع فقالت:

"ذلك الرجل، هل أخبرك بالفعل بأنه يمتلك صالة بنغو؟"

"بل تباهي بذلك! وقال أنها أفضل عمل في العالم! المال السهل وكل شيء وقال أنه سيفتح صالة أخرى عندما يعود إلى انكلترا".

"كل يختار صديقه الخاص".

قال غارث هذه العبارة باستخفاف وقد انتقلت عيناه إلى الرجل الذي يدور الحديث حوله، وتبادلت وندي ومارجي النظرات. وكلتا هما تفكران في الشيء نفسه: ما هي مهنة غارث ريفرز؟

أسرت مارجي إلى وندي بعد ظهر اليوم التالي عندما قابلتها جالسة على كرسي فوق سطح السفينة ومعها كتابها: رأيي أن غارث ريفرز شخص هام جداً!

وبعد أن أثارت اهتمامها وضعت وندي كتابها جانبا ونظرت بتساؤل إلى السيدة التي أصبحت صديقتها بسرعة ثم قالت:

"ما الذي تجعلك تقولين هذا؟"

"أذكركين قولي أنني سأجعل شغلي الشاغل أن أعرف ماذا يعمل لكسب عيشه، برغم أنه يفضل ولا يجيب كلما أثير السؤال".

"أجل، بالطبع".

"سألت فريزر بطريقة مباشرة! "

ولم تقل وندي شيئاً، واكتفت بالانتظار لتعرف ما سيعقب هذا وهزت مارجي رأسها في استمزاز وهي تقول أن فريزر متحفظ إلى أبعد الحدود:

"أولا قال أنه لا يعرف تماماً، لكنني قلت له أن هذا سخف بما أن الرجلين صديقان، وحينئذ قال فريزر أنه ليس في وضع يسمح له بالأفصاح عن شيء بشأن غارث، لكنه قال أنه يعمل بارهاق منذ سنوات عدة وقد حذره طبيبه أنه لو كان حريصاً على صحته فليأخذ راحة طويلة كأن يشترك في رحلة بحرية".

وتوقفت مارجي عن الكلام، وقد ظهرت في ملامح وجهها الطيبة تقطعية حادة ثم مضت تقول:

"غارث الذي نعرفه مرهق بالعمل، لكن كيف ولماذا ومتى؟ وندي انتي لم أصب بخيبة أمل في حياتي كما أصبت من ذلك".

واضطرت وندي إلى الضحك ثم قالت:

"أنه أمر لا يهم حقاً".

"أنه يخبرني، مثلك تماماً".

لكنها توقفت عن الكلام وقد بدت في شكل مضحك عندها سارعت بوضع يدها على شفيتها. ثم هزت كتفيتها علامة على الاستسلام وقالت:

"لتعلمي يا عزيزتي أنك أنت أيضاً تحيرينني".

"أحقاً أحيرك؟"

هل تفشي سرها؟ لكن لا! لن تحتفل إطلاقاً أن تشفق عليها هذه السيدة. وجاء الرد الصريح بدون تردد:

"أجل يا عزيزتي فأنت لست ثرية بما يكفي للقيام برحلة كهذه، أعني الثراء الذي يأتي بالطريق العادي أليس كذلك؟"

"لا، لست كذلك".

"وبعد؟"

"بعت بعض الممتلكات، لآشترك في هذه الرحلة، كان بيتا...".
"بعت؟"

بدت السيدة كما لو صعدت وظلت لحظة لا تتكلم ثم غمغمت:
"فهمت، إذن فأنت على سعة من العيش؟"
هزت وندي رأسها وقالت بلهجة النقي وبدأ صوتها يخرج بسهولة:

"ليس الأمر كذلك حقيقة، لكنني رأيت أن الممتلكات لن تفيدني مثل الأموال النقدية. وهكذا قررت أن أبيع البيت وأقوم بإجازة طبية بثمنه."
"هذا شيء جيد لك يا عزيزتي."

وفكرت وندي وهي تراقب وجه السيدة الأخرى، حتى الآن تسير الأمور على خير ما يرام، لكن أعقب ذلك سؤال غير متوقع على الإطلاق، ويتطلب كل براعة وندي للرد عليه.
"هذا يفسر لماذا أنت هنا، لكن الشيء الآخر الذي يحيرني، ويقلقني يا عزيزتي أرجو ألا تعتقدي أن هذا من قبيل الفضول."

ودون أن تنتظر رداً على السؤال مضت تقول:
"أجل هناك شيء يقلقني، هو لماذا تخفين أحيانا سرا في عينيك، أجل، انهما تستغرقان في التفكير كما لو كانتا تنظران عبر طريق طويل تبحثان عن شيء هارب منهما..."
وقطعت وندي عليها كلامها قائلة:

"كم يبدو هذا غريباً! إن خيالك يشطح بك يا مارجي!"
وأطلقت ضحكة رنانة قصدت أن تشيع روح الدعابة، لكنها أخفقت في تحقيق الهدف منها رغم أن نبرتها كانت خادعة.
وهزت مارجي رأسها وردت:

"خيالي لا يشطح بي أبداً، وعلى كل فأنني لن أوجه اليك أية أسئلة أخرى، كل ما أريدان أقوله هو أنه رغم مظهري العابت إلى حد ما فإن لي أدناً مؤثوقة متعاطفة. ويمكن الركون الي."

قالت ذلك بصوت اكتسى بنبرة الجد والترقق، وكان مختلفاً عن الصوت الذي اعتادت استخدامه في الجلوس إلى المائدة، والذي يتميز بوضوح النبرة.

ونظرت إليها وندي، ورأت مدى جدية تعبيرها والايحاء اللطيفة لرأسها كما لو كانت تريد تقديم إيضاح للعبارة التي قالتها للتو، وهي أنها يمكن أن تكون أهلاً للثقة. ولم تشك وندي في ذلك لحظة واحدة وأذ أدركت أنها في وقت لاحق قد تصبح في حاجة إلى أن تثق بشخص ما قالت بهدوء وبنبرة العرفان بالجميل:

"سأذكر يا مارجي، أعذك بذلك...".
"حسنًا، والآن لنعد إلى المسألة التي لا تمسنا شخصياً بل تتعلق بالسيد ريفرز والتي كنت أتحدث عنها عندما قاطعت نفسي لأتحدث عنك يا عزيزتي."
وأومات وندي برأسها وقالت:

"كنت تقولين أنك تظنين أنه شخصيه هامة؟"
"هذا صحيح، أعتقد فعلاً أنه شخصيه هامة."
ولم ترد وندي بشيء، واكتفت بتوجيه نظرة تساؤل إليها، ومضت تقول:

"لا يمكن إلا لشخص هام أن يرهق نفسه بالعمل إلى درجة أن يتطلب منه الأمر القيام برحلة بحرية لمدة ثلاثة أشهر، اليس هذا منطقياً؟"

ولم تكن وندي ترى هذا الرأي، لكنها اكتفت بأن ردت قائلة:

"يبدو الأمر معقولاً...".
"كبار المديرين والاشخاص المرموقون يرهقون بالعمل ويصابون بانهايار عصبي..."

ولم يسع وندي إلا أن تهتف قائلة:
"لا أستطيع أن أتصور أن غارث يمكن أن يصاب بانهايار عصبي!"

"ولا أنا، ومع ذلك فإن هذه العبارة قالها صديقه...".
وغمغمت وندي قبل أن ترفع عينيها لتنظر إلى صديقتها:

"حقاً انني أتعجب لماذا لم يذكر مهنته...".
"إنه كتوم بطبعه، ذلك نوعه بين الرجال...".
والنوع الذي تخشين سؤاله..."

"بالأكيد... أنا شخصياً يمكنني عادة أن أواجه هذا النوع من التصرف لكن مع غارث ريفرز لن أجروء على المحاولة، خوفاً

من مواجهة التوبيخ*
"وهذا ما ستلقينه بلا شك* انه ، حتى الآن لا يبدي الا السخرية والتهمك والاستخفاف وأعني عندهما تكون هناك مناسبة لذلك ، لكنني أشك في أن صوته لن يتورع عن لدغة حادة لو وجهنا اليه أسئلة يستاء منها*"

"أنا واثقة أنني أوافقك من الاعماق ، أنه ليس من الرجال الذين يمكن للمرء أن يخطيء ويغضبهم*
"بالنسبة الى الظن الذي يساورك أنه رجل هام ، أعتقد يمكن أن يكون أحد عمالقة رجال الأعمال ، مثل كثيرين من الذين على ظهر السفينة*"

"يمكن أن يكون نجما سينمائيا ، لو كان الأمر يتعلق بالمظهر والبنيان الجسماني ، لكنه ليس كذلك ، قطعا ليس كذلك لأنني ، كما ترين ، أعرف جميع نجوم السينما*
"يمكن أن يكون قد قام بهذه الرحلة تحت أسم مستعار*
اقتربت وندي ذلك وهي تتذكر ما سمعته عفوا من حديث بين الرجلين ،

"ليس كذلك ، فأنني أعرفهم جميعا لو رأيتهم*
"تعرفين أيضا جميع نجوم السينما من النساء؟*
"معظمهن ، رغم أن هناك واحدة أو اثنتين لا أهتم بهما كثيرا وعلى ذلك لا أشاهد أفلامهما ، وفيما عداهما دائما أذهب لمشاهدة الأفلام ، فأنا أعبدهما*"

"هل تعرفين لينيز ما فارو لو رأيتهما؟*
وأجابت مارجي على هذا السؤال بالنفي ، إذ أن لينيز ما فارو من بين ممثلات السينما اللواتي لا تحبهن وأضافت:

"ليس لأنها غير جميلة - كما أتذكر من الصور التي شاهدتها في المجلات والطلصقات: وجه ساحر كالجنيات وعينان واسعتان ، ربما مثل عينيك ، تملك أعظم شمر أشقر بلاتيني ، مثل شعرك ، بشرة ناصعة وملامح جميلة ، أجل أنها فتاة فائنة يحلو النظر اليها ، لكن أخلاقياتها حسنة ، يعرف المرء أنها لا تهم كثيرا هذه الايام لكن بالنسبة الي فان الفضائح القذرة تنال من صورة نجمة السينما وأجد نفسي عاجزة عن أن أذهب وأرى أفلامها ، لماذا سألت اذا كان بوسعي أن أعرف عليها؟*
أقلت السؤال الاخير فجأة عندهما أدركت أنها ابتمدت

كثيرا عن الخط الرئيسي لموضوع الحديث*
"من المحتمل أن تكون فوق سطح هذه السفينة متفكرة وقد غيرت شخصيتها تماما*"
"هل أنت واثقة؟ كيف عرفت؟"

وأشارت وندي الى الحديث الذي سمعته عفوا بين الرجلين في غرفة الملكة يوم ابهار السفينة ، ومضت تقول:
"فريزر هو الذي تعرف على النجعة ، وقال انه أكيد تماما من أنه عرفها ، ويروي أن لينيز ما فارو تحب في الفترة الواقعة بين تصوير أفلامها - أن تخرج للتمتع بحياتها الخاصة ، في رحلة بحرية حيث تقوم بدور الفتاة البريئة التي - كما جاء في نص كلمات فريزر - لم يقبلها أحد على الإطلاق*"
"الامر صعب التفسير! أي نوع من الشخصيات تمتلك سيدة مثل هذه؟"

"الواضح أنها شخصية غريبة ، ومع ذلك*
وخفت صوت وندي بينما نظرت اليها مارجي نظرة تساؤل وهي تواصل كلامها:

"أشعر بالأسف لها يا مارجي*
وردت مارجي بنبرة تتسم بالتفكير العميق ، وقد ظهرت تخطيطية مفاجئة على وجهها:
"أجل ، انها لا تريد حقيقة أن تظل الدمية التافهة السعيدة دائما ، فيما يبدو*"

"لكن الصورة كبرت وأصبحت جزءا من جاذبيتها*
"هذا صحيح ، هذا النوع من الشهرة يجتذب بعض الناس ، وتكون النتيجة أنها تتمتع بشعبية هائلة ، وعلى أية حال فأنها اذا لم تكن تريد أن تتخذ مظهر الفتاة المفتقرة الى الصلاح فلماذا تقحم نفسها اصلا في ذلك الطريق؟ انني لا أطيق صبرا عليها!"

"أستطيع أن أفهم ذلك*
"هل لديك أية فكرة؟ من من الركاب هذه السيدة: لينيز ما فارو*"
قالت مارجي ذلك بطريقة أوتوماتيكية وهي تتلفت حولها وهزت وندي رأسها وردت:
"لا ، على الإطلاق*"

"ينبغي أن أذهب واتحري الأمرا"
أعلنت مارجي ذلك، واضطرت وندي إلى إطلاق ضحكة
وقالت، وهي لا تزال تضحك:

"ستعرفين كل شيء عن كل أنسان قريبا"
عندما يحين الوقت لنرسو في ساوثهامبتن ساكون قد
عرفت.

وعندما يحين الوقت لنرسو في ساوثهامبتن... شعرت
وندي الدم بدأ يهرب من وجهها. ولذا لم تندم إطلاقا
عندما سألتها رفيقتها إذا كانت تشعر باعيا وغدغدت قائلة:

"انتي بخير، ذكرني هذا فقط بشيء ما."

وردت مارجي بتغيير يدل على الفضول:

"شيء غير سار كما يبدو من مظهرك."

وردت وندي بسرعة، وقد اكتسى صوتها بتبرة من يريد
حسم الموضوع:

"لا شيء."

وهزت مارجي كتفها تعبيرا عن الامبالاة. وعندما همت بأن
تتحدث مرة أخرى وصل دينبي، ودس ذراعيه في ذراعها،
ووقف بضع دقائق يثرثر مع وندي ثم خبط على المنضدة قائلا
انه ينوي أن يتمشى مع مارجي ثلاث مرات حول أطراف
السفينة، ثم اصطحبها وابتعد.

٤ - ابتسامة تجرح

ظلت وندي لفترة طويلة، تمنع التفكير في ما قالت مارجي
عن غارت وكونه شخصية هامة، أرمقه العمل لدرجة أنه نصح
بالراحة فترة طويلة، وبشكل ما تصورت أن غارت رجل لا يمكن
أن يرهق بالعمل إطلاقا، رجل مثله قوي الشخصية قادر على
التحمل يمكنه أن يتحمل أي شيء. وهكذا فإنه إذا أرمقه
العمل فلا بد أن يكون عمله يرهق الذهن إلى حد كبير.

عيل صبرها لعجزها حتى عن الوصول إلى النقطة التي
يمكنها تصور عمل له، وقررت ألا تفكر في الأمر بعدئذ، لكنها
في الواقع عادت إلى التفكير في الموضوع عندما أخذت
تتمشى فوق سطح السفينة بعد الفداء، وهي تستمتع بنسمة
هواء باردة تلغح وجهها وتتخلل شعرها وتلمس ذراعيها
العاريتين اللتين اكتسبتا اللون الاسمر الجميل بعدما لوحتهما
الشمس نتيجة جلوسها ساعات طويلة فوق سطح السفينة.

كان البحر مثل مرآة مصقولة، متحولا إلى مرآة من الفضة
بعدما سطع عليه ضوء البدر الكامل من سماء قمرزية داكنة.
كل شيء كان وادعا، وظلت هي لبضع لحظات تعيش في
طيبة وسلام لكن فجأة، ظهرت أمامها حقيقة حالتها القاسية،
لم يعد البحر لامعا بل أصبح مظلما خالكا وعميقا، أصبح شيئا
مخيفا بما أنه سيحتويها، سيحتوي عقلها وجسمها وقلبها في
أعماقه... ويشعور خوف مفاجيء جعلها تفقد توازنها وتصرخ
ألما، استدارت شبه عمياء وهي تنوي الهرب إلى غرفتها،
لكن حالما فعلت أمسكت بها فجأة ذراعان قويتان:

"وتطلعت الى وجه غارث ريفرز النحيل غير المبتسم وقالت:

"أسفة كنت على وهك الذهاب الى غرفتي".

وحاولت بشجاعة أن تسيطر على نفسها ومرة أخرى خفت صوتها لأنها عندما رأت عينيه الثابتتين الغامضتين أدركت أن الدموع كانت تنهمر غزيرة على وجنتيها".

ونسيث البحر... قدرها... قاع السجن المفرغ المظلم الذي لن تعود منه... أجل، كل هذا نسيته لحظة الاقتراب الوثيق من هذا الرجل القريب الذي أصبحت يداه الآن رقيقتين للغاية، يمنحها الراحة والدفع... إنها آمنة معه، لشيء يمكنه أن يتحدى سلطته لو أنه فقط أمسك بها هكذا للأبد لما أصيبت بأذى على الإطلاق، وحمغم مندهشا:

"أيتها الفتاة المسكينة الصغيرة الثرية، لماذا تبكين؟"

ولم تخفف يداه من قبضتها لكنه ترك مسافة صغيرة بينها وبينه، ليرى وجهها بشكل أوضح، حسب اعتقادها.

ورددت قوله الفتاة الصغيرة المسكينة الثرية وهي تمسح وجهها بيدها وأضافت:

"ماذا تعني؟"

ظهورت على وجهه ابتسامة ساخرة أدتها بصورة لا تطاق وقال:

"أعتقد أنك تعرفين ما أعني..."

قال ذلك وقد أختفت الرقة من صوته، رغم أن يديه كانتا لاتزالان حائيتين عليها، هاتين اليدين الطويلتين النحيلتين اللتين خدعتاهما لأنهما كانتا قويتين وقادرتين، ومرة أخرى أقحم السؤال المضني نفسه عليها، ما هو عمله؟

"لا أعرف صدقني!"

وتجههم وقال مرة أخرى:

"لماذا كنت تبكين يا وندي؟"

ووقع تجاهله القاطع لكلماتها، رغم أنها قالتها بإخلاص، مثل وخزة إبرة حادة، وتجنبت لو أنها استطاعت أن تعيد تقديم الموضوع، وعلى أية حال فرغم المودة التي سادت الموقف الحالي، تذكر أنها لم تصل مع غارث إطلاقا الى مرحلة التعارف الوثيق.

"لم يكن هناك شيء..."

بدأت كلامها بهذه العبارة لكنه قاطعها قائلاً:

"هراء سيفيدك كثيراً لو تكلمت!"

كانت لهجته أمرة، ولو أنه قال هذه الكلمات منذ فترة قصيرة جداً لأغضبتها ولكن ليس الآن، ومضى يقول:

"إنني الآن في حالة استعداد للأصغاء والتفهم... وهكذا يمكنك أن تتأكدي أنك ستلقين اهتمامي المتعاطف الكامل".

وتأرجحت ابتسامة على شفتيها الجميلتين إذ ذكرها بالدكتور هوبيكر الذي كان دائماً مستعداً للانصات لمشكلات أي من مرضاه، وبصفة خاصة مشكلات وندي، وقالت:

"كنت أشعر بإحباط شديد، لكنني الآن على ما يرام".

"تكلمي!"

قالها بلهجة أمرة، لكنه أضاف وهو يلقي نظرة حوله:

"سنجد مكاناً مريحاً نجلس فيه، مكان منفرد".

ثم أخذ يدها وقادها الى مقعدين من حقايد سطح السفينة في مكان منعزل تحت الظلال في نهاية السطح وقال بسرعة عندما جلسا:

"والآن، هاتي ما عندك..."

"لم أكن على ما يرام..."

اعترفت بذلك وقد بدأ عقلها يعمل بسرعة في محاولة لذكر ما يكفي من المعلومات لإرضائه، دون دخولها في أية تفاصيل وهو أمر ليست لديها أية نية للقيام به بأي حال لأنها رغم اهتمامه وتفهمه الواضحين لم تكن متأكدة أنه سيهتم بمعرفة الحقيقة كاملة عن معاناتها. ونظر بحدة اليها عندما سمع كلماتها وبدأت عيناه الباردتان غير المبتسمتين تتفرسان في كل جزء من وجهها وجبهتها حتى نزلتا الى رقبتها وقال:

"أكنت مريضة؟"

وتساعد الدم غزيراً الى وجهها، ووجدت أن كفيها أصبحت دافئتين ومبالتين ومضى يسألها:

"أي نوع من المرض؟"

وهزت كتفيها كسباً للوقت ثم قالت:

"شيء لن تفهمه..."

وادمشها أن يكون صدمه كلامها فعلا أم أنها تتصور ذلك فقط إذ زم شفثيه بقوة، وبشكل يؤكد ما تصورت، أو بدا أن كلماتها لم ترصه على الإطلاق، وبلهجتة الآمرة قال:
"يمكنك أن تخبريني".

ومرة أخرى قالت لنفسها أن هذا كان سيفضبها لو أنه قاله منذ فترة ليست طويلة، وبعد تردد قصير قالت:
"أسفة يا غارث، لكنني أفضل ألا أتحدث عنه".
فهمت....

وبدا كأنها انتابته أفكار أخرى عن المسألة، كما لو كان يعتقد أن مرضها من النوع الذي لا تحب أن تناقشه مع أحد، وأراحها أنه قنع ومع ذلك، فبعد مرور اللحظات القليلة الأخيرة فكرت، ربما بعقلها الباطن، أنها لو استطاعت أن تفضي بسرها لغارث لأراح عن كاهلها عبئا كبيرا إذ أنها تعرف بدون أدنى شك على الإطلاق أنها يمكنها الوثوق تماما أنه لن يتحدث به حتى إلى صديقه. ومرة أخرى نظر إليها بعينين متساكنتين وقال:

"ومع ذلك لا يمكنني أن أرى لماذا كنت تبكين؟"
انقباض نفسي..

كان هذا هو ردّها الصادق تماما، ولأنها نظرت مباشرة إليه وهي تفوه به تقبله كحقيقة، وأوما برأسه ببطء وهو يمعن في التفكير، كأنه يستعرض حقائق أخرى تتناسب بعضها مع بعض. وتجهمت في حيرة، لكن مزاجها لم يفتح مجالا للأشياء التي غلبت تفكيرها من قبل فلقد تصرف كل من غارث وفريزر معها بشكل غريب تعودته لدرجة أنها لم تعد تنوي السماح لنفسها بالشعور بالغيظ إزاءه.

وقال بلهجة متعاطفة:

"الانقباض النفسي يمكن أن يكون أسوأ من الألم الفعلي، وعلى كل فإن المرء يمكنه أن يفعل الكثير من أجل تخفيف مثل هذه الحالة، كتغيير أسلوب الحياة مثلا".

"تقترح أن أغير أسلوب حياتي؟"

وتساءلت في نفسها وماذا بعد؟

"ألا تعتقدين أنها ستكون فكرة جيدة؟"

"إنني..."

وامتنعت عن القول بأنها لاتعرف ماذا يقصد، لأن ألما بسيطا وخز رأسها. وكانت على علم بمثل هذا الطاريء...
الألم سينتابك بين فترة وأخرى: هكذا أخبرها الاخصائي...
وستمر النوبات حتى تأتي النوبة الأخيرة التي تسبق اللاوعي الكامل... وقالت:

"إذا لم يضايقك تصرفي أود أن أوي إلى غرفتي، فأنا متعبة..."

"هالزال الوقت ميكر..."

قال هذا بسرعة إلى درجة أنه بدا كأنه يود أن تظل برفقته فترة أطول قليلا:

"حسنا، لن أذهب الآن..."

وجدت نفسها تقول هذا وهي تبسم، واستقرت عينا غارث على وجهها لحظة طويلة. وبدا كما لو كان يتنهد من الداخل على شيء يأسف له أسفا عميقا، ووجه اليها دعوة مفاجئة حين قال:

"ألا تشعرين بالرغبة في رقصة أو اثنين؟ فالأضواء البراقة والموسيقى ستقضي بالتأكيد على الانقباض الذي تشعرين به..."

"شكرا جزيلا لك يا غارث..."

وتجهمت قائلا:

"لا حاجة بك إلى مواصلة الشكر يا وندي... أنا أحب رفقتك كثيرا في الواقع..."

ولم تتردد طويلا إذ مرة أخرى انتابها الانطباع بأن عواطفها موزعة لأن بعضا منها يريدتها بينما البعض الآخر يرفضها.

ورقضا معا طوال الوقت وكانت واعية تماما لمختلف العيون العديدة التي تركزت عليها، عينا نيكول رنتون أصبحنا داكنتين وخبيثتين مما يعني بوضوح أنها تتشم بالفضب لأن شخصا آخر يخطئ باهتمام غارث الكامل. ثم هناك فارجي التي كانت تبسم وتومي برأسها، ولم يكن من الصعب قراءة أفكارها. هكذا رأت وندي من حولها وقد ظهرت

في عينيها ومضة أسف واخذ يهمس في اذن رفيقته ثم أوماً هو أيضاً، أما فريزر، الذي كان جالساً أمام البار مع صديقه فبدأ عاجزاً عن أن يحول عينيه عن متابعتها: وهناك شيء الذي نظر اليها بطريقة غامضة بينما كانت الفعالة التي تجلس الى جواره تختسي شرايها . ثم كان هناك الرجل القوي الذي يملك صالة البنغو، هو أيضاً بدأ مهتماً بالاثنتين اللذين احتلا حلبة الرقص.

* هذا ممتع للغاية *

قال غارث ذلك عندما عادا أخيراً الى السطح، وقد أعرب عن اعتقاده أن لمسة الهواء الرطبة المنعشة الآتية من البحر ستكون تغييراً لطيفاً بعد حرارة الجو والثرثرة في المرقص وقال:

* شكراً لك يا وندي، ربما نقوم بذلك مرة أخرى،

هذه المرة اتسم صوته بنبرة تلقائية غير معتادة، وظهر في عينيه تعبير الانتظار كأنها لرايها أهمية قصوى لديه، ومنحته إحدى ابتساماتها الرقيقة الجميلة وهي تقول:

* أتوق الى ذلك يا غارث *

* لنحدد الموعد إذن، مساء الغد بعد العشاء سترقص مرة أخرى *

وصلا الى حاجز السفينة، وأصبحت وندي قادرة على النظر الى البحر من دون خوف أو رعب: أصبح برافاً مرضعاً بالنجوم مثل قطعة فسيفساء يختلط فيها الضوء بالظل نتيجة انكسار الأمواج والليل نفسه أصبح ساحراً تتلألأ في سمائه الاستوائية ملأين النجوم، يتوسطها القمر بدرًا في تمامه. وانحنى وندي وغارث على الحاجز، وساد بينهما صمت عميق لطيف. لقد أصبحت في سلام مرة أخرى، وهذات أعصابها.

* يالها من ليلة ساحرة؟ *

خرجت العبارة عفواً من شفثيها وأدار رأسه الداكن وحدق في وجهها ثم قال:

* لم أر شيئاً يمثل هذا السحر الخيالي الرومانسي *

* حقاً؟ *

قالت وندي بدهشة كبيرة: هل كان هذا نزوعاً الى

الشك؟ ومع ذلك فإن الابتسامة التي ظهرت على شفثيها، وعبرت عن التهكم واللامبالاة الى حد ما، جعلتها تندم على تغيير أسلوبه معها، وأضافت:

* كان ينبغي لي الاعتقاد بأنك شاهدت عديداً من هذه المناظر *

ومد يدا احتوت جميع أطراف البحر اللامع والسماء المرصعة بالنجوم والباخرة المترفة التي تبحر بين هذه الأجواء. وبعينين تحجبهما الظلال نظرت اليه وقالت بلهجتها الناعمة اللطيفة:

* إنني لا أفهمك يا غارث، فلنك تقول لي أغرب الأشياء، يسيطر علي الانطباع بأنك تشك في أنني لست على حقيقتي. وتساءل بنعومة:

* وهل أنت كذلك؟ *

وفكرت في حالتها وأخفقت في محاولتها منع احمرار وجهها خجلاً وقالت وهي تلقي بصرها على يده المستندة على حاجز السفينة:

* جميعنا لدينا خبايا سرية في داخلنا نخفيها عن أي شخص آخر *

* هل لديك خبايا سرية؟ *

* بالطبع، انني لا أتحدث مع كل شخص أقابله عما بداخلي. واستعاد صوته نغمته الرقيقة، كما استعادت عيناها ظلالهما، وتحرك غارث قلقاً، وتقلب عليها انطباع غير عادي بأنه يواجه صعوبة بالغة في الاحجام عن ضمها اليه، وعندما لم يتكلم أضافت قائلة:

* أنت نفسك لابد ان تكون لديك خبايا سرية *

هز برأسه موافقاً وهدق في البحر غارقاً في تفكير عميق، ووقفت الى جانبه قريبة منه ومع ذلك فهي ليست قريبة بما يكفي!

وأخيراً اعترف قائلاً:

* أجل يا وندي... أنا أيضاً لدي خبايا في نفسي *

وبدا عليه التعب فجأة، لكنه لم يبذل أية محاولة للتحرك وساد الصمت مرة أخرى، وليسبب غير مفهوم اضطرت

الى إنهاء هذا الصمت وسالت:

"حتى نصل الى الميناء التالي؟ إنه سلفادور، أليس كذلك؟"

"صحيح... ستكون هناك يوم الإثنين."

وتوقف عن الكلام لحظة ثم أضاف:

"هل ستقومين بالجولة في الميناء؟"

وهزت رأسها من دون تردد.

كانت الجولة تستغرق أربعة أيام، تتضمن الطيران في أعماق البلاد، الى عاصمة البرازيل المعروفة برازيليا حيث يقضي المشتركون في الرحلة ليلة، وبعدها يطيرون الى ماناوس مدينة المطاط الكبيرة، التي كانت في أوج مجدها منذ أكثر من ثمانين عاما، كذلك كان القيام بجولة بحرية في نهر الأمازون جزءا من هذه الرحلة الخاصة التي تكلف نحو ثلاثمائة جنيه، وبالتالي كانت غير ممكنة، بالنسبة لوندي، لأن ما تملكه لا يكفي لذلك النوع من المتعة وقالت:

"لا، سأنتظر حتى نصل الى ريو. أنني أطلع حقيقة الى ذلك."

واستدار، وظهر على وجهه تعبير غريب وتساءل:

"لماذا لا تشتركين في جولة برازيليا وماناوس؟"

"لا أعتقد أنها ستهمني."

تجنبت الرد الفاطح على أمل أن يرضيها ذلك، وهذا ما حدث وأراحها كثيرا. وقال إنه سيقوم بالجولة. وأصابتها هذه الأنباء بصاعقة مدمرة، إذ أنه سيغيب عنها أربعة أيام كاملة، وعلى أية حال هناك ثلاثة أيام قبل ذلك وعندما خطرت لها هذه الفكرة ارتفعت روحها المعنوية بسرعة تماما كما انخفضت منذ يضع ثوان فقط.

"الوقت متأخر جدا."

خرجت هذه الكلمات بنعومة ثم تلاشت عندها غير أحد النجوم قوس السماء بسرعة ثم سقط وراء خط الافق الغامض بالضباب.

"ينبغي أن نقول طابت ليلتك يا وندي."

رقدت في فراشها. مسترخية تحديق شاردة الذهن في بصيص ضوء تسلل جن خلال الباب.

غارث ريفرز... لن توءذي مشاعره كما كانت ستؤدي مشاعر شو... لا، إن غارث غير عاطفي كما أنه مصمم على الحفاظ على عزوبته من دون الانزلاق في قصة عاطفية. انتابتها الشكوك أنه يستغلها ببساطة لأن صديقته هجرته كرفيقة لطيفة يمكنه أن يقضي معها بعض وقته، وعلى ذلك يمكنها هي أيضا استغلاله، قررت بتعقل أن تخرج معه كلما طلب منها ذلك. كل هذا دون أدنى درجة من وخز الضمير إذ أنها تعلم علم اليقين أنه عندما يخين وقت رحيلها عن الباخرة لن تبدر منه الا تهيدة أسف صغيرة على أنها ماتت شابة، وبعد ذلك سيعثر على أخرى ترافقه حتى نهاية الرحلة البحرية.

وهمست وهي تدفن رأسها في وسادتها:

"أجل... لا حاجة بي الى الشعور بتأنيب الضمير لاستغلاله... أما بالنسبة الي فأنني لن أخاف الوحدة لأنني متأكدة أنه يحب رفقتي ويرغب فيها حتى النهاية..."

ومرت الايام الثلاثة التالية على وندي في منتهى السعادة. أصبحت الآن تشعر بفرحة أكبر لأنها قررت الاشتراك في الرحلة البحرية وكونها احبت غارث أصبح حقيقة مقبولة تغلغت في أعماقها ببساطة الى درجة أنها لم تنتبه الى وجودها حتى استعادت تركيزها. واعترفت لنفسها بأن هذا الامر وحده له مكانته لديها، اما هو فكانت تعرف أنه يعتبر ذلك مجرد غزل مجتذع فوق سطح السفينة... إنه يشعر بالسعادة بمرافقتها، واستجابتها لفرقه سواء أكان مرحا أو متملقا أو، كما أصبح مألوقا أكثر، ساخرا جدا ومزدريا قليلا... ولم يعد يضايقها اتخاذ هذا الموقف، كانت تعيش كل يوم ليومه، وتشكر الله لأنه مر لطيفا فلم يكن هناك وقت لتضييعه في ملاحقة اكتشافات عقيمة يمكن أن تنتهي الى لا شيء... أما الوضع بينها وبين غارث فقد كان يناسبها بصورة مثالية: أحبته ونتيجة لذلك كانت سعيدة. ولم يكن يحبها ولا كان سيحبها على الإطلاق، لذلك لم تشعر بأي قلق على مستقبله، لو تركته جريح القلب يتخبط في فراغ الوحدة. إن موتها لن يؤثر عليه في أية حال. أجل إنه موقف مثالي لأنها احبت أخيرا...

أحببت بطريقة كانت - منذ أشهر قليلة فقط - حلما راودها
الأميل في أن يصبح حقيقة. كاد أن يضيع الحلم لكنه أصبح
حقيقة... لقد وجدت الرجل المناسب على الأقل فيما يتعلق
بها، وتعلمت كيف تتعايش مع حب عظيم، وروحي، تشوبه
أحيانا مسحة ندم بسبب عجزها:

"ألغيت الجولة يا وندي..."
تقبلت هذا النبا بخليط من عدم التصديق والفرح الخالص
الذي تشوبه سائبة:

"حقا! لكن هل أنت واثق يا غارث..."
أنا واثق أنني لا أريد أن أظل بعيدا عنك أربعة أيام يا
عزيزتي ربما تجددين شخصا آخر وأنا غائب!"
قال العبارة الأخيرة بنبرة إغاطة، وعيناه الداكنتان تبرقان
بالمرح عندما حاولت نفي هذا الاحتمال.
"إنني لن..."

"إنك أجمل من أن أسمح بمجازفة كهذه."
قال هذا وهما يجلسان فوق سطح السفينة، تحت أشعة
الشمس، ارتديا أخف ما يمكن من الثياب، واكتسبت بشرة
وندي الآن سمرة جميلة وأصبحت أكثر جاذبية وفطنة، أما
شعرها، رغم أنه هازال داكنا، فقد تأثر بأشعة الشمس القوية
عند المقدمة والصدغين وظهرت في المكانين بعض الخصلات
الذهبية التي لم تنتبه هي لوجودها إلى أن لاحظ غارث هذا
التغيير في اللون وقال شيئا غامضا وساخرا، وكالمعتاد
تغاضت عن ذلك إذ أدركت أنه، بعد بضع دقائق، سيردد
عبارات إغاطة أو جمالية، وفعلنا ما لبث أن قال:

"طول بقية الرحلة ستكونين لي ولن يتدخل أحد بيننا."
واختلست نظرة سريعة إليه، لكن وجهه كان خاليا من أي
تعبير واضطرت أن تقول:

"لا أظن أنني أحب كلمة لي."
وارتفع حاجباه الداكنتان المستقيمان قليلا وتساءل:

"وما الخطأ في ذلك؟"
"لا أستطيع التفسير."
"أنك طفلة مضحكة."

ثم كان فكرة ما طرأت له أردف قائلا:

"لكنك لست طفلة؟ تبدين فقط كذلك..."

"هل ترى أنني أكبر سنا مما أبدو؟"

"تبدين كما لو كنت لا تريد من التاسعة عشرة..."

"أنني في العشرين..."

قالت له ذلك وقد تلون صوتها بنبرة فاترة بعض الشيء.

"والباقى..."

وجه لها هذا السؤال وقد أنسم صوتها برنح المرح التي
أظهرت لمحة غضب في عينيها، ثم نظرت مباشرة إلى وجهه
وهي تقول:

"أخبرني إذا كنت لا أبدو أكبر من التاسعة عشرة فلماذا تعتقد

أنني أكبر من العشرين؟"

"قلت قبلا، فمظهرك خادع..."

وتجهجت بشدة وتغضن حاجباه في خيرة عندما لاحظ ذلك
وقالت بحدة:

"ليس لدي رد على ذلك، إنك كثيرا ما تتكلم بالالغاز إلى
درجة أنني وصلت إلى مرحلة عدم الاكتراث بمحاولة فهم ما
تعنيه..."

وهز غارث رأسه كما لو كان يحاول إبعاد صورة ما، وقال
وهو مستغرقا في التفكير:

"قريبا، سأسألك سؤالا سيفزعك..."

وبعد ذلك غير الموضوع، ولم يتح لها الوقت لمواصلة
المسألة حتى إذا رغبت في ذلك قال:

"بشأن زيارة سلفادور سيكون أماننا الكثير لنفعله وسنقوم
بذلك معا..."

"سيكون هذا جميلا..."

قالت ذلك لكنها أضافت بعد تردد بسيط:

"كنت تتطلع إلى تلك الجولة بالتأكيد؟"

"ليس كثيرا، لن يضايقني أن أضيع الفرصة..."

وأرضاهما هذا الرد كثيرا، ومسح كل ألم أحس به من جراء
أسلوبه الأقل جاذبية منذ بضع لحظات.

سلفادور باهيا - التي كانت عاصمة للبرازيل في وقت

من الاوقات تبين أنها مدينة الكنائس، وهي قائمة على
مستويين:

القطاع الأكثر انخفاضاً ويطلق عليه اسم بايكسا والجزء
الأعلى ويطلق عليه ألتا والأخير قائم على سهل واسع مرتفع
يعلو نحو مائتي قدم فوق المدينة المنخفضة.

وحالما لمح غارث إحدى سيارات الأجرة قال:
"ستستأجر سيارة أجرة... سيكون ذلك أبسط من محاولة
التجول في المدينة على هوانا".

وهزولت وندي بجانبه وهو يسرع الخطى نحو السيارات وهي
تشعر بالبهجة، إذ لم تكن من قبل تتطلع الى شيء أكثر إثارة
من مرافقته طوال اليوم فضلاً عن أن مارجي لم يكن لديها
الوقت لأي شخص إلا دينبي إذ أسرت لوندي بأنه لن تمر فترة
طويلة قبل أن يطلب منها الزواج.

وسرعان ما استأجرا السيارة وجلس غارث ووندي في
المقعد الخلفي وحملهما السائق الى المدينة العليا حيث بدا
بالتوقف عند دير القديس فرانسيس الاسيسي، وقد زين
داخله بورق الذهب الجميل، مما جعل وندي تبدي عبارات
الاعجاب غير مرة، وفي كل مرة كان غارث ينظر اليها
لسذاجتها أو تقديرها التلقائي لجمال المكان، وأخذهما سائق
السيارة الذي كان يعمل كمرشد الى الأروقة التي أقيمت حول
حديقة ممهدة وسأل غارث بعدما سارا مدة طويلة:

"هل رأيت ما فيه الكفاية؟"

وعندما أومأت وندي بالإيجاب قال:

"لنذهب إذن".

وسيقهما سائق السيارة فتمهلا في السير نحوها، وشاهدا
نباتات اليونسيتا الجميلة وأزهارها القرمزية البراقة تتجايل
الى جانب الأوراق الأقل رونقا لأشجار السنط بينما أنواع
أخرى من الأزهار الرائعة كانت تتسلق الجدران وتنمو في
الاصص والحدائق في كل مكان.

"سأشتري لك شيئاً".

قال غارث ذلك عندما أنزلهما السائق، بعد فترة من الوقت
بناءً على طلب غارث، في شارع كونسيل دانكاس رقم

١٩ وبادرت بقولها:

"لا، سيكون ذلك خسارة...".

وتوقفت عن الكلام، إذ أدركت ما بدر منها وببطء وبدون أن
يقفهم كرر غارث قولها:

"خسارة؟ ما الذي يمكن أن تقصديه بذلك؟"

وتوقف غارث خارج محل لبيع المجوهرات، وعلمت أنه ينوي
أن يشتري لها شيئاً ثميناً، فقالت بضعف:

"أنني لا أترين بالمجوهرات إطلاقاً. ولذلك سيكون خسارة
للمال لو اشتريت لي شيئاً من هنا".

واغتم وجهه بشدة، وأخذت عيناه تتفحصان وجهها كما لو
كان يريد الجواب على حيرته في بعض ملامحها، تعالي

سنمثر لك على خاتم اكواهارين من الزبرجد، إنها الاحجار
التي تمتاز بها هذه البقعة".

"ولكن..."

"لا جدال يا وندي..."

وأذعنت، ولكن بشعور بوخر الضمير، فقد بدا لها من الخطأ
خلقياً أن تسمح له بإنفاق أمواله عليها وشراء الهدايا التي
ستجمع قريباً مع جميع حاجياتها الأخرى، وترسل الى أبن
عمها البعيد، الذي سمعت عنه من أمها لكنها لم تقابله
إطلاقاً.

واختار غارث خاتماً ذهبياً ذا فص غامق، وقد علمت من
مارجي فيما بعد أنه أغلى كثيراً من الفص الفاتح، ووضعت
في الأصبع الثالث في يدها اليمنى، وشكرته كثيراً، وتوقفا
في المرة التالية عند سوق اليركادو موديللو، التي قالت
مارجي انه ينبغي أن يزورها، وهنا يمكن شراء أي شيء
ابتداءً من أكياس الأرض الى القبعات القش وأقمشة الملابس:

وطبيعاً أن وندي كانت لاثهتق كثيراً بمثل هذه الأشياء،
كما أنها لم تلتفت الى الهدايا التذكارية، وأشار غارث، عفواً
الى الأشياء العديدة التي يمكن شراؤها، لكنها تجاهلت
تعليقاته، ووجه اهتمامها الى بعض أقمشة الساتان المطرزة
الرائعة، واقترح أن تشتري قطعة منها لعمل فستان وقال:

"سأشتريها لك".

لكنها هزت رأسها وهي تقول:

"لن ارتديه إطلاقاً".

ورغم أنه رفقها بفضول قلبه لم يقل شيئاً آخر عن ذلك.
هل لاحظت الاجناس المختلفة من الناس؟"

قالت وندي ذلك وهما يمران بجوار سيدة أسيانية الملامح
تشتري كمية من جوز الهند من رجل زنجي، وبالقرب منهما
كانت سيدة يبدو واضحاً أنها من سلالة هندية، بينما وقفت
عن بعد مجموعة من الأفارقة كما اعتقدت وندي.

"أجل أن الجولة ممتعة، اليس كذلك؟"

بدا غارث سعيداً للغاية وهو يتجول هكذا وشاهدت وندي
جانبا منه يختلف تماماً عما شاهدته من قبل واستنتجت أن
هذا الرجل الذي أحبه له عدة جوانب في شخصيته بعضها غير
جذاب بينما الجوانب الأخرى ساحرة بشكل لا ينكر، إنه يتمتع
بلباقة اجتماعية فوق مستوى أبناء جنسه.

"قضيت يوماً رائعاً!"

صاحت وندي قائلة ذلك عندما عاذا أخيراً إلى الباكسة
فايسون وأضافت وهما يستعدان للدخول إلى غرفتيهما:

"شكراً جزيلاً لك يا غارث لأنك اصطحبيني معك."

ورد بما يشبه العبارة اللاذعة:

"أود لو امتنعت عن هذه المبالغة في الشكر، استمتعنا كلانا
وأسهم كل منا في متعة الآخر."

ودون أن تهتم بالتقطيبية التي ظهرت على جبهته ردت
وندي بحماسة:

"يجب أن أشكرك مع ذلك، إنك لا تعلم ما فعلته لأجلي، لكنك
ستعرف يوماً ما."

وكانت على وشك أن تستدير بسرعة وتسرع إلى غرفتها لولا
أن يدا امتدت بسرعة وأمسكت برسغها وأوقفتها وأدارتها
لتواجه في حركة رشيقة.

"لا يمكنك أن تقولني أشياء كهذه ثم تهربين دون إعطائي
تفسيراً! ما الذي قصدته بالضبط من تلك الكلمات؟"

"لا أستطيع أن أخبرك! لا يمكنك أن تكرهني على ذلك! إذا
كان بإمكانك أن تتحدث بالألغاز إذن لم لا أستطيع أنا؟"

وبهزة عنيفة قامت بها على غرة حررت نفسها من قبضته،
وفي اللحظة التالية كان غارث يقف وحده يحدق فيها وهي
تتراجع بسرعة إلى الخلف وازداد التقطيب على حاجبيه عمقاً،
حتى أصبح عيوساً.

مرة أخرى وسمعت صوت غارث يقول:
 "وندي... لقد تركت حافظة نقودك معي."
 حافظة نقودها؟ لم تحمل معها حقيبة يدها، بل اكتفت
 بحافظة صغيرة للنقود وطلبت أن يضعها في جيبه، وردت
 قائلة:
 "يمكنك أن تحفظها لي الى مرة أخرى!"
 مرة أخرى؟

وتوقف عن الكلام لحظة، ثم أراد أن يعرف ما بها فقال:
 "ألا يمكنك المجيء الى الباب؟"
 أجل... لا... أعني...
 وغمرتها النشوة عندما رأت مقبض الباب يدور وهو يقول

محذرا:
 "إنني قادم... فإذا لم تكوني مستعدة لملاقاتي الأفضل أن
 تتعجلي!"
 ومع أن النبرة كانت تنسم بالاغظة أسعدتها حتى وهي
 تبحث دون جدوى عن كلمات تجعله يبتعد وصرخت بالراح:
 "لا! اتركه هناك في الخارج... أرجوك!"
 وسادت فترة تردد قبل أن يتحدث مرة أخرى:
 "حسنا..."

وأحس أن صوته كان جافا وكانت هناك حركة فجائية في
 وقع قدميه وهو يستدير ويبتعد.
 وتنهدت بارتياح ثم دخلت الحمام، وتمددت بضع لحظات
 في المياه المعطرة وشعرت باسترخاء تام وسعادة كاملة، فقد
 كان غارث جافا بسبب ردها، ولكن ذلك أفضل من أن يدخل
 ويكتشف أنها كانت تبكي... إذ أن ذلك كان سيؤدي، حتما،
 الى توجيهه عدة أسئلة اليها باللهجة الآمرة الاستبدادية
 نفسها، وكانت عيناه ستفحصان وجهها وتسبران غورها،
 مما كان سيسبب تمللها بعصبية... أجل... غضبه أفضل
 كثيرا من فضوله.

وأثناء العشاء كان فائرا، لكن لحظة حيرة عميقة كانت
 تختفي وراء تعبيراته وظلت مارجي تثرثر بلا انقطاع، وغافلة
 تماما عن أي شيء غير سليم. أما فريزر الذي أخذ

٥ - ثرثرة فوق البحر

وخالما صارت وندي في غرفتها، جلست على الفراش وهي
 تستعيد ذكريات اليوم الذي قضته وتشعر بأنها سعيدة الى
 درجة أنها يمكن أن تغني أغنية الحب.
 أي شيء رائع جميل! ان كان الأمل يراودها فقط، وظلت
 تصلي من أجل أن يحييها غارث بالعمق نفسه الذي تحبه به.
 راودها الأمل أن يعيش طويلا مع فتاة جميلة تعني به كما
 عني هو بها.

وفجأة، وبدون سابق إنذار - انفجرت في بكاء حار
 واستدارت ودفنت وجهها في وسادتها وظلت تنتخب دون أن
 تستطيع السيطرة على نفسها، ولكن دموعها توقفت حالا. كم
 كانت ناكرة للجميل. أتريد المزيد عندما منحتها الحياة
 الكثير؟ مع هذا فلو أنها قادرة على أن تتطلع الى حياة طويلة
 لصارت تواجه فترة فظيعة من الفراغ النفسي غير المحتمل.
 فقد أحبت غارث وهو لا يهتم بها على الإطلاق. ربما كان
 سيودعها وداعا بهيجا - من جانبه - عندما ترسو السفينة،
 ويقول لها شكرا لك يا وندي للوقت الرائع الذي قضيناه معا،
 ثم يمضي كل في طريقه ولا يلتقيان أبدا مرة أخرى. أما
 بالنسبة اليها فكان سيحطمها هذا إذ أنها تود أن تحتفظ
 بغارث طالما هي حية.

وجعلتها طريقة لطيفة على الباب تهب واقفة على قدميها،
 لكنها وقفت مترددة حائرة، بينما ألقت نظرة خاطفة على
 المرأة وهي تتساءل أتحدث أم لا، وتكررت الطريقة

ينقل نظراته المختلطة بين غارث ووندي، فقد كان واضحا أنه كان متنبها إلى وجود شيء غير طبيعي بينهما، وعلى أية حال لم تكن وندي تشعر بأي قلق إزاء موقف غارث، إذ كانت تدرك لمعرفتها طباعه، أنه سيعود بسرعة إلى طبيعته الأصلية، ويبعد عن نفسه كل ما وجده محيرا. وكانت على حق، فقد انضم في النهاية إلى الحديث. يبدو في هذه الأيام كما لو كان أكثر تقبلا لشريرة مارجي، بل صار يبدو مستمتعا بها أحيانا.

اسرت مارجي لوندي من قبل أنها مصممة على معرفة ما إذا كانت لينيز مافارو، نجمة السينما، ضمن ركاب السفينة، وهذا سر وندي لكنها لم تهتم به، غير أن مارجي لمحت لها أن لديها خطة نادرا ما تحقق، وحينئذ سألت وندي باهتمام: "حقا؟"

"لدي خطة، لكنني لن أخبرك بها إذ ستعرفين النتيجة قريبا."

وضحكت وندي وتركت المسألة تمر عند هذا الحد، واستمرت مارجي في توجيه بعض التعليقات التي تثير الاغظة عن صداقة وندي مع غارث. "لا شيء."

بدأت وندي الحديث لكن مارجي قاطعتها فورا وقالت: "لا شيء... مع من تتحدثين؟ من الواضح أنكما وقعتما في حب بعضكما البعض، لماذا... ان الجميع يتحدثون عن ذلك..." واندفعت وندي في الرد بلهجة استياء: "الجميع؟ لكن هذا سخيف!"

وفكرت وندي أن غارث لن يعجبه ذلك، وانزعجت لاعتقادها أن ذلك قد يؤدي به إلى نبذها تماما، وكانت تعرف أنه لوحدث ذلك، لعانى قلبها من جرح نافذ سيظل يؤلمها حتى النهاية. "سخيف؟"

قالت مارجي ذلك وهي تهز رأسها، وواصلت

مزاحها المرح، غير مدركة أثره البالغ على الفتاة التي اضطرت للانصات إليه:

"لماذا تخجلين من الحقيقة يا عزيزتي؟ لست فجلة من علاقتي مع ديني. وستزوج قريبا جدا، ألن يكون لطيفا لو تزوجتما أنت وغارث أيضا، سيكون هناك زواج ثنائي عندما نعود جميعا إلى ساوثهامبتن."

"مارجي، أرجوك، كفي عن هذا الهراء! غارث لا يحبني ولا يمكنه أن يفعل إطلاقا فهو أعزب بالسليقة! أسألي فريزر إذا كنت لا تصدقينني! غارث وأنا مجرد رفيقين في هذه الرحلة."

ونظرت إليها بتوسل وقد ظهرت بوادر الظلال والخوف في عينيها البنفسجيتين الجميلتين وأضافت:

"لا تذكرني شيئا على الإطلاق لغارث، عديني يا مارجي، عديني بأمانة!"

ونظرت إليها مارجي في رعب وقالت:

"عزيزتي، تبدين في غاية الانفعال... ان المرء يظن أن حياتك نفسها متوقفة على عدم سماعه الشائعة التي تدور حولكما. هل هناك شيء ما؟"

وجف حلق وندي وهي تقول متسائلة في خوف:

"هل هناك شائعة تدور حقا؟"

"بالطبع... لكن هناك شائعات تدور حول عشرات آخرين ممن تألفوا معا منذ وطئت أقدامهم سطح السفينة... هناك دائما قصص عاطفية فوق سطح السفن تعقبها حفلات خطوبة وزواج، لذلك لا أستطيع أن أدرك لماذا أنت قلقة هكذا..."

"غارث لن يحب الشائعات من هذا النوع، وسينبذني!"

وهكذا كشفت عما في قلبها، وإذا لم تكن مارجي قد أدركت الآن أنها ينبغي ألا تذكر شيئا لغارث فإنه لن يكون هناك في وسع وندي أن تفعل شيئا إزاء ذلك.

"فهمت... إذن انه الحب من جانب واحد، في الوقت الحالي؟ لكن انتبهي لكلماتي يا عزيزتي..."

وواصلت مارجي حديثها بطريقتها المباشرة المميزة بينما كان مفروضا أن تتكلم وندي:

"لن يستمر الحال هكذا دائما، انك أجمل كثيرا من الا يقع في حبك، بالتاكيد أخبرك بأنك جميلة؟"
"أجل... فعل"

وتعجبت وندي لما اذا كان وجهها قد شحب كما شعرت.
كلمات مارجي هزتها بالتاكيد، وجعلت قلبها يدق بصورة مؤلمة... لو نبذها غارت... لا... ينبغي ألا يفعل. لن تكون قادرة على تحمل ألم فقدته أو عذاب رؤيته يحول اهتمامه الى فتاة أخرى... ربما الى نيكول رنتون.

"كنت أعرف ذلك! لا يا عزيزتي، أعذك بالأقول كلمة تجعله يشعر بأنه أحق أو يقرر أن يتخلى عنك. وهو شيء غريب، لأنه قطعاً لن يتخلى عنك. لكنك تخشين أن يفعل، وهكذا، كما قلت، سأغلق فمي مهما كان الأمر صعباً علي."

وفكرت في أن تصيف شيئاً، لكنها ابتسمت ابتسامة عريضة أثرت على وندي التي استجابت بابتسامة سريعة من شفتيها اللتين كانتا ترتجفان منذ لحظة واحدة وتعمسان القلق الذي تغلغل في داخلها عندما سمعت تعليقات مارجي.

ووقت مارجي بوعداً فلم تقل شيئاً علىائدة العشاء بشأن علاقة الحب كما سمعتها فيما بعد، لكنها فاجأت وندي عندما قالت وهي تنقل بصرها بين غارث وفريزر، وقد اتسعت عيناها وارتسمت فيهما البراعة:

"هل سمع أيكما شيئاً عن نجمة السينما المفروض أنها فوق سطح الغايسون... تقوم بالرحلة متخفية؟"

وجففت وندي بوضوح. اذن هذا ما كانت مارجي تقصده عندما قالت ان وندي ستعرف قريباً كيف ستمضي في محاولة معرفة شيء عن وجود نجمة السينما فوق السفينة.

وعندما أدركت وندي فجأة ان كلا الرجلين ينظران اليها، احمر وجهها بشدة، اذ كانت نظراتهما المحدقة فيها أكبر من أن تتحملها دون أن تنهار أمامها. ونكست رأسها وهي تلمس، بلا هدف، رغيف الخبز في الطبق أمامها وجاء التعليق الناعم من غارث:

"تبددين مضطربة بعض الشيء يا وندي، هل هناك شيء يتعبك؟"

واضطرت الى رفع رأسها وردت على نظراته غير المبتسمة وقالت بنبرة متلعثمة يسودها الارتباك:
"لا شيء البتة. لماذا تسألني؟ لا أعرف لماذا تسألني؟"
وغمغم ضاحكاً:

"فضول، لا شيء أكثر أو أقل يا عزيزتي."
ونقلت مارجي نظراتها بين كل منهما وهي حائرة ومتجهمة، وقد اتضح أنها مرتبكة بشأن كل ما يجري، وواصلت حديثها السابق:

"إنكما لم تردا على سؤالي، هل تعرفان شيئاً عن نجمة السينما هذه؟"

ولمعت عينا غارث جذلاً وقال:

"لم لا تسألين وندي؟"

ونظرت وندي بدهشة وقالت:

"أنا؟ لماذا أنا؟"

وقال فريزر، الذي دخل في الحديث فجأة:

"أعتقد أننا ينبغي أن نغير الموضوع، فانه ليس من شأن أي منا ان كانت لينيز مافارو فوق السفينة أم لا، ولو كانت موجودة، وترغب في أن تظل مجهولة الشخصية، فأني حق لنا أن نبدأ البحث والتقصي؟"

ونظر مباشرة الى غارث ثم قال:

"أنا واثق أنك توافقني؟"

وبدا أن غارث يكتم الضحك، ورد بعد فترة:

"أجل، أوافقك من كل قلبي. أسف يا مارجي، لكن لا يمكننا أن نقول شيئاً عن الفتاة، وكما سمعت لا نعتقد أنه من اللائق اقتحام عزلتها."

ونظر الى وندي ثم قال متسائلاً وهو يرفع زجاجة الشراب:

"مزيدا من الشراب؟ هي، اشربي، ما الذي أصابك الليلة؟"
ولم ترد، لكنها أخذت كأسها وشربت بعضاً من السائل الأحمر القاني الذي بها، وملاً غارث الكأس مرة أخرى

وهو يركز عليها بمينيه الداكنتين .

ولكن لو قصد أن يتحدث مرة أخرى فقد ضاعت منه الفرصة بظهور الضيف، مما أدى إلى وقف الحديث، وعندما استأنف كان يدور حول المسائل العادية، ويتركز حول أوجه النشاط في اليوم الذي انقضى في سلفادور .

وكما أصبح عاديا بعد العشاء، اتجه غارث ووندي إلى أحد الأندية الليلية، وبعد ذلك إلى المرقص، وكالعتاد اختتما الليلة بالمشي فوق سطح السفينة حيث قضيا نصف ساعة أو نحوها، واقفين بجانب الحاجز، وبالنسبة إلى وندي كانت هذه العلاقة " كما يسميها الناس، هي كل ما ترغب فيه . قمة سعادتها، تحقيق أمنية قلبها، فقد كان غارث أول حب لها وسيكون آخر حب، وأراحت رأسها تحس بدقات قلبه السريعة، وتتعجب كيف سيكون رد فعله لو علم الحقيقة .

ونعجم وأنفاسه الرطبة تداعب خدها :

"إنك جميلة جدا .. انني أود .."

وتوقف عن الكلام، وابتعدت عنه لكن وجهه كان في منطقة الظل المنعكس لإحدى سفن النجاة المعلقة بالياخزة، ووجدت نفسها تحاول أن تمسك بالتعبير المزاوغ لعلامته التي بدت داكنة وغير واضحة، وفجأة بدا كما لو كان بعيدا عنها وفي غمرة خوفها افتربت بقوة غريزية، وكان وجهها مرفوعا وشفتاها الجميلتان تعبران .. وأحس رأسه .

وفكرت كيف يمكن أن يتغير أسلوبه لكنها أدركت أيضا أنه، أخيرا جدا أصبح أكثر رقة وتحملا، إذ أصبحت لهجة التهكم والسخرية والازدراء أقل وضوحا عما كانت في البداية، وخرجت من شفيتها الكلمات بقوة لم تستطع أن تقمعها عندما همست قائلة :

"غارث .. انني سعيدة للغاية الليلة ."

وأفلتت منه ضحكة قصيرة وقال :

"انني مسرور لذلك يا وندي . وأنا سعيد أيضا ."

"هل أنت سعيد بأننا تقابلنا ؟"

"كيف يمكنك أن تسألني هذا السؤال ؟"

وأطلقت ضحكة ذات رنين موسيقي جعله يزفر بسرعة

وهي تقول :

"ربما أسأل لأنني لست واثقة .."

وهزها هزة خفيفة وهو يقول :

"إنك واثقة .. جدا .."

"انظر إلى البحر .. انه متلاهي .."

"إنني أنظر إليك، لا إلى البحر ."

وكانت الكلمات تأكيداً مثيراً بأن جاذبيتها له ما زالت قوية . وبرقت عيناها ومنحته ابتسامة ذات جمال لا يصدق، وتنهدت مرة أخرى وهي تفكر إلى أي مدى وصلت هي وغارث منذ الكلمات التقليدية المهدبة التي تبادلها في أول تعارفهما، ثم قالت :

"انني سعيدة .."

ولم يعد يستطيع أن يسيطر على انفعالاته الحارة .

واستجابت، ولكن في حذر، وهي تشعر بفرحة غامرة من سحر اللحظة ولسانها يلهج بالشكر للقدر الذي سمح لها في النهاية بأن تعرف جمال الحب .

وأخيرا ابتعد عنها، ولاحظت تعبير الفرحة الغضة في عينيها الداكنتين الثاقبتين، وعاتبها قائلاً :

"طففتي الحذرة . ألم تعرفي حتى الآن أن الحياة وجدت لنحياها ؟"

وجفلت ثم انسحبت، لكنها شعرت بالراحة عندما لاحظت أن هذا لم يسترع انتباهه، وقالت :

"لا أعتقد أن تعبيرك يعني أنك ترغب في إقناعي بأنك تقصده .."

وتجهم عندما سمع هذا الكلام، ولوى شفتيه وقال :

"أجد ما ترمين إليه غامضا إلى حد ما يا عزيزتي ."

وضحكت قائلة :

"هراء .. إنك لست بهذه الخشونة ."

واستجاب لضحكتها، وقال وفي صوته نبرة فضول :

"ما الذي يجعلك تظنين أنني لا أعني حقيقة ما تنطوي عليه كلماتي ؟"

"لا أدري .."

وظهرت تقطبية خفيفة على جبهتها تدل على أنها تبحث
عن تعليق ثم قالت:

"ربما لأنك لا تبدو لي من هذا النوع من الرجال".
وساد صمت لكنه لم يستمر إلا لحظة خاطفة إذ قال مؤكداً
بشيء من المرح:
"جميع الرجال هكذا... لقد تعلمت أنت ذلك منذ فترة
طويلة".
أنا؟

شبهت وهي تقول ذلك وقد تسارعت دقات قلبها إذ رأت
في دهشة، التغيير الحاد الذي طرأ على تعبيراته... كم يسهل
أن يؤذي مشاعرها! وتساءلت:
"بم تتهمني يا غارث؟"

ومرة أخرى هزما وهو يقول ضاحكاً في سخرية وازدراء:
"كفى... لقد لعبنا لعبة التحايل لإقناع بعضنا البعض بما
نريده... وكانت لعبة لطيفة... كان تغييراً لكليناً، لكن هذه
اللعبة لا يمكن أن تستمر يا... وندي... دعينا نكشف
أوراقنا على المائدة هلا نعمل؟"
وأصيبت بخيبة أمل من تحوله مما جعل قلبها يئن بعنف
تحت وطأة الإصاية التي تلقاها، ورفعت وجهها المقعّم بالألم
والذهول وسألت:

"لماذا ترددت قبل أن تنطق اسمي؟"
ونظر إليها غارث وقد اكتسى وجهه أيضاً بتعبير الذهول،
لكنه كان مؤقتاً فقط حيث ظهرت لهجة الازدراء المألوفة في
صوته عندما قال:
"أعتقد أنك تعرفين لماذا..."

وعندما فتحت فمها لتحتج رفع يداً أمرة لمنعها وهو يقول:
"لا، أرجوك، لا تستمري في المهزلة أكثر مما فعلت، أنك
ممثلة بارعة".

"ممثلة؟ كيف تتهمني بشيء مثل هذا؟ لماذا أمثل؟ لا سبب
على الإطلاق يجعلني أفعل ذلك".
وكانت غيظاًها الواسعاًان البريكتان وارتعاشة فمها الشديدة
وحركة أصابعها المستمرة... كل هذا كان شاهداً على صدقها،

لكنه ضحك بمرح... واختلس نظرة إلى ساعته، ودفعت تقول:
"من البداية كان واضحاً أنك تعاملني بتشكك وتتخذ أسلوباً
يتسم بالازدراء... معي وتسخر مني في داخلك".

وخفت صوتها عندما أصيب حلقها بغصّة مؤلمة، وساد
الصمت عدة لحظات، بينها وبين الرجل الذي تعلمت أن تحبه
بسهولة وبسرعة وأخيراً نطقت:
"أعتقد أن الأفضل أن أتركك، يا غارث".

وحبست أنفاسها في انتظار الكلمات التي ستعيد إليها
سمادتها، تلك الكلمات التي ستؤكد لها مرة أخرى رغبته في
البقاء معها، لكن ما سمعته هو:

"إذا كانت هذه رغبتك فإنا إذاً سنتمنى لبعضنا البعض ليلة
طيبة... وسأوصلك إلى غرفتك".
وعند باب غرفتها انتظر فقط ليلقي عليها تحية المساء قبل
أن يبتعد.

ماذا حدث؟ سألت نفسها هذا السؤال مرة ومرة وهي
مستلقية على فراشها تتقلب من جانب لآخر، لو لم تكن
أفكارها مضطربة هكذا لكانت قادرة على تجميع الحقائق التي
أدت إلى هذه النهاية التي لا تصدق ليوم وليلة بديعين... لقد
كان غارث لطيفاً - ولكنه كان لطيفاً مضطرباً بلا شك - وكان
رقيقاً وهو يبتئها حبه، وأخبرها بأنه سعيد، وأدركت أنه قصد
ذلك عندما قاله، كذلك جاملها عندما قال أنه ينظر إليها هي
لا إلى البحر... ثم زادت حرارة انفجالاتها واتهمها بأنها حذرة...
أجل ركزت أفكارها على تلك النقطة لكن ماذا حدث بعد ذلك؟
وفجأة بدون تحذير شعرت بوخزة مؤلمة في رأسها جعلتها
تجفل وتحد يداً مرتعشة إلى صدغها.

ولم تستطع أن تتجنب سؤال نفسها، لو كانت تلك هي
النهاية، فقد جاءت مبكرة، لكن في حالة مثل حالتها يكون
من الصعب على الإحصائي أن يقول بالتأكيد متى تأتي،
ونهضت من الفراش وارتدت "الروب دي شامبر" فوق قميص
النوم، وعندما نظرت في المرأة وجدت وجهها أبيض اللون،
مع وجود حبات دقيقة من العرق على جبهتها، وكانت كفها
مبللتين بالعرق فدخلت الحمام لتفسلهما... هل هذه

هي النهاية؟ سألت نفسها مرة أخرى عندما شعرت بوخزة أخرى من الألم في رأسها وسارت عبر الغرفة وهي تطيل المسافة بالدخول إلى الحمام في كل مرة تصل فيها إلى الباب، لم تستطع أن تستلقي فوق الفراش، مع ذلك فإن مشيها في أنحاء الغرفة يزيد - فيما يبدو - الألم المبرح في رأسها، ابتلعت قرصاً لكنه لم يخفف الألم. ولم تستطع أن تفهم لماذا.

هل تستدعي طبيب الباخرة؟ ألقت نظرة على الساعة فعرفت أنها تجاوزت الواحدة صباحاً، ولذلك استبعدت الفكرة، لو كانت هذه هي النهاية فلن يكون في وسعه أن يفعل شيئاً، إذن فالأفضل ألا ترعجه.

وأخذت تذرع الغرفة، وهي تتوقع أن تنهاوى في أية لحظة. وأن تنأى الغيبوبة المفرغة التي لا مفر منها، فتحملها إلى النهاية. وفكرت: غداً سيجدونني أو مساء الغد في مثل هذا الوقت.

وقطعت أفكارها وهي ترتعش بقوة، وقد ظهر العرق مرة أخرى على جبهتها. وببد مرتعشة أخذت مندبلاً وجففت وجهها. كانت يداها في مثل برودة الثلج، وبدون أن تعي ما تفعل ذهبت إلى الحمام ووضعتهما تحت الماء الساخن، ثم وهي لا تزال لا تعي ما تفعل، بحثت عن منشفة وجففتها، ثم أعادت المنشفة بعدما طوتها بعناية بالغة فأصبحت كأنها خرجت من علبتها للتوء، وحدقت فيها ثم أغلقت عينيها، ثم حدقت مرة أخرى، وأدركت أنها على وشك أن تفقد الوعي وأدركت أيضاً أنها لو فقدت الوعي فربما لا تكون تلك النهاية. ربما تعود إلى وعيها مرة أخرى ويتكرر كل شيء ثانية.

وفكرت بفتور: الأفضل كثيراً لو انتهت الآن، بعدما فقدت غارث إلى الأبد بدون سبب يمكنها تحديده وبدون أي شيء فعلته معه وهي في كامل وعيها. إن تصرفه في مفارقتها فجأة يبرهن قطعاً أنه لم يشعر بأي من الأحاسيس التي تأثرت هي بها. إنه لا يكن لها أي حب، وهذا شيء جميل لأنها الآن، عندما عاملها بمثل هذه القسوة، ولم

يرد بسخرية على تأكيدها بأنها لا تمثل، كانت تشعر بالراحة لأنها أخفقت تماماً في أن تحرك في داخله شيئاً يماثل الحب. وأخيراً بدأ الألم يخف، وكانت تعلم أنه سيختفي حالاً، لكنها ظلت مستيقظة ساعة أو أكثر، تذرع الغرفة وتتساءل كيف ستقضي الشهرين المقبلين.

يمكنها أن تترك الباخرة في ريو، فكرت في ذلك بعدما حسبت أنها سيبقى معها أكثر مما يكفيها لدفع نفقات العودة جواً. بما أنها أعدت ميزانيتها للقيام بجولات في موانئ عدة، في جنوب أفريقيا وسيشل وبالي واليابان. لن يكون هذا المال مطلوباً للجولات، لكن، من ناحية أخرى لو أنفقت منه جزءاً على رحلة العودة جواً فلن يتبقى لها ما يكفي لاحتياجاتها طول الشهرين القادمين، وغرغمت في ضيق. "فكرت في هذا من قبل وقررت أنه ليس معقولاً. ينبغي أن أظل في السفينة".

وفي الساعة والنصف من صباح اليوم التالي كانت فوق سطح السفينة، بينما كان غارث في أحد حمامات السباحة، مع فريزر وصديقه، وأومات وندي لفريزر لكنها استدارت عائدة من دون أن تنتظر غارث ليلحظ وجودها، وأثناء الإفطار كانت وحدها مع خارجي، وعندما ألقت نظرة على المطعم الكبير رأت غارث يتناول الإفطار مع نيكول على مائدتها. وهذا التغيير وقت الإفطار مسموح به إذ أن الكثيرين لا يتناولون الإفطار على الإطلاق، ونتيجة لذلك تكون هناك أماكن خالية في بعض الموائد، والواضح أن رفاق نيكول على المائدة كانوا قد تناولوا وجبة مبكرة أو لم يهتموا بالمجيء إلى المطعم على الإطلاق.

وعندما لمحت مارجي التعبير الذي ارتسم في عيني وندي نظرت إليها بتعاطف وسألت:

"هل انتهى كل شيء؟"

وأومات وندي بفتور، وقالت:

"أجل، انتهى كل شيء".

ولم تستطع أن تخفي التعاسة التي ظهرت في

عينيه، لكنها تمكنت من أن يكتسي صوتها بنبرة استخفاف،
أملا في تجنب لسان مارجي، والهروب من أية تساؤلات أخرى
من جانبها، عندما أضافت:
"كانت مجرد عاطفة عابرة، لم يأخذها أي منا مأخذ الجد بأية
حال".

وردت مارجي بأسلوبها الفظ:

"أحسنتم القول يا عزيزتي، لكنني أعرف أنك كنت جادة
للفاية. وقد تحدثنا بشأن ذلك. أتذكرين؟ وقلت إن العاطفة
من جانب واحد، في الوقت الحالي - لكن غارث سيقع في
حبك في النهاية".

وبللت وندي شفتيها قبل أن ترد، وهي لا تزال تحاول أن
تبدو أسعد مما تشعر:

"كانت تلك تصوراتك فقط يا مارجي. لم أقل أبدا إنني
جادة".

وبعد فترة توقف بدا فيها أن مارجي ستواصل مناقشة
المسألة قالت:

"فليكن، غير أن هذا شيء يدعو للأسف. فأنت وهو أكثر
رفيقيين ظريفيين فوق الباخرة كلها".

وابتسمت وندي رغم أنفها وهي تقول:

"شكرا لك يا مارجي. غارث هو أكثر الرجال وسامة في
الباخرة، لكنني واثقة تماما أن هناك نساء أكثر فتنة مني
بكثير".

وبينما كانت وندي تقول ذلك حولت تلقائيا نظرها إلى
المائدة التي تجلس عليها نيكول، التي بدت فتنتها تسحر
الألباب وهي ترتدي ثوبا ذا نقوش من الورود والصدر مزموما
بشرائط رفيعة من قماش بلون متناقض وهي المشرائط التي
زينت بها الجيوب وحافة الذيل، وقالت مارجي بنبرة ازدراء:

"لا أقول إنها أجمل، ذلك الثوب الذي ترتديه الآن هو أول ثوب
لها يعجبني. أما ثياب المساء التي ترتديها فهي أبشع من
أية كلمات".

"الرجال تعجبهم تلك الثياب الجريئة".

ردت وندي بذلك وهي تركز نظرها على حلقات فاكهة
الليمون الهندي التي وضعها المضيف أمامها.
"بعض الرجال وليس كلهم".

وبدأت مارجي تراقب وندي، وقد أخذت عينها الحادثان
تنعمان النظر في وجهها وعينيها، والهالات الداكنة التي
تركبتها ليلة السهر والقلق ثم سألت:
"ماذا ستفعلين هذا الصباح؟"

وقبل أن تتلقى ردا مضت تقول إنها هي ودينبي ينويان
الاشتراك في بعض الألعاب المشتركة فوق سطح الباخرة،
واقترحت على وندي أن تنضم إليهما وأضافت:

"هناك جوائز لمختلف الألعاب، ستكون تلك تسلية يا عزيزتي،
لذلك فالأفضل أن تأتي وتنضمي إلى الحشد المرح".

"أعتقد أنني سأفعل".

وافقت وندي وهي مندهشة للغاية لأنها كانت تنوي العودة
إلى غرفتها والمطالعة حتى تشعر بالنوم لتعويض ما فقدته
الليلة الماضية.

"عظيم! سيفرح دينبي، فهو معجب بك بلا حدود".

ومرة أخرى ابتسمت وندي. يالها من شخصين رائعين!
صريحين بعيدين عن الادعاء ليسا مثل كثير من الركاب الذين
تجعلهم ثرواتهم الضخمة يتصرفون كأنهم فوق مستوى الناس
العاديين. وانتهت بها أفكارها الشاردة إلى التركيز على
غارث ريفرز وظلت تفكر بضع ثوان في المعلومات التي
ذكرتها مارجي حول كونه مرهقا بالعمل إلى هذه الدرجة وعلى
مدى فترة طويلة إلى حد أن طبيبه أمره بالاشتراك في هذه
الرحلة البحرية.

وبدأت ألعاب السطح فور وصول وندي مع مارجي ودينبي،
ولأنها نظمت بدقة فقد مضت ببسر، واستمتع بها المشتركون
إلى أقصى حد، ووجدت وندي نفسها في الدور قبل النهائي
في لعبة حلقة الرمي، وأثار ذلك دهشتها إذ كانت هذه ثالث
مرة فقط تشترك فيها في هذه اللعبة، وفي المرتين السابقتين
كان شريكها غارث الذي هزمها، وبعدها كسبت الدور قبل
النهائي وجدت نفسها

في صباح اليوم التالي خصصاً لنيكول. وقبل أن تبدأ كانت واثقة أنها ستخسر، لأن غارث كان قريباً منها، مجرد متفرج غير مهتم ولا شك. أنه يعطي نيكول تأييده المعنوي، لكن لدeshتها أيضاً كسبت وندي، وكان غارث أول المهنيين لها، مما تسبب في كدر الفتاة الأخرى إذ قال:

"أخسنت يا وندي! كانت لعبة ممتازة".

"شكراً لك، لكنها كانت لعبة حظاً أكثر من أي شيء آخر".

"لم يكن هناك شيء من هذا".

ثم توقفت لحظة قبل أن يقول:

"ما رأيك في فتجان من القهوة؟"

ومن الطبيعي أن دعوته أدهشتها، وترددت، لكن شيئاً ما في كلامه جعلها تقول، من دون أن تتوقف لتعرف ما إذا كانت ستسبب لنفسها مزيداً من البؤس أم لا:

"أتوق إلى ذلك. شكراً لك يا غارث أين نذهب؟"

وكانت واعية لوقوف مارجي على مقربة منها فاستدارت وابتسمت لها، وألقت مارجي نظرة مختلصة على غارث من تحت أهدابها قبل أن تقول:

"تهنئتي يا وندي... جئت للتو بعد أن انشغلت بالحديث مع ذلك الرجل صاحب صالة البنغو، وحاولت أن أعرف كيف أمكنه جمع كل هذه الأموال التي يدعي أنه جمعها، وتجنيت لو لم أكن على ما أنا عليه من الثروة حتى يمكننا، دينبي وأنا، أن نفتح صالة بنغو، إذ بدا لي أن الحال يأتي مقابل لا شيء".

وألقت نظرة أخرى على غارث ثم واصلت حديثها:

"إذن فأنت ستأخذها يا غارث؟ أرجو لكما وقتاً لطيفاً معاً... أراكما وقت الغداء".

وابتعدت ثم ظهر شو ومد يده إلى وندي قائلاً:

"أهنتك لفوزك... لعبت لعبة هائلة".

وتجهمت وندي، فهي لا ترى أنها قامت بأي نشاط زائد حقق فوزها وهي واثقة أنها لو أعادت اللعبة مرة أخرى لكان من المحتل أن يخسرها وعلى أية حال شكرته بنهمه

ثم استدارت إلى غارث ولمحت إلى أنها مستعدة لمرافقته. وقال:

"سنحاول أن نجد مائدة حول حمام السباحة، إذا كان ذلك يناسبك؟ وأومات برأسها قائلة:"

"أجل... يناسبني".

وسارت بهدوء، كذلك فعل هو، لكن حالما جلسا في مكان منعزل إلى حد ما في الصف الخارجي للطاولات المحيطة بحمام السباحة انحنى وقال بلهجة مبهمه لكنها تأكدت من أنه يقصد أن تكون خالية من أي تعبير:

"بالنسبة إلى الليلة قبل الماضية هل يمكننا أن نبدأ من حيث كنا قبل أن أتركك بقليل؟"

ولمست قسوة واضحة في سلوكه، كان يكافح لكي يخفيها، ومرة أخرى أدركت ذلك الانطباع الغريب بأنه بينما يتمنى جزئياً أن يحبها فإنه جزئياً يتمرد على الفكرة نفسها أو بمعنى آخر، كما استنتجت، يود كثيراً أن يتخلى عنها تماماً لكنه يجد أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك. غريبة تلك الأحاسيس والمشاعر المختلطة في رجل مثل غارث، لكن الشيء الذي لم يدر بخلد وندي على الإطلاق في ذلك الوقت هو أن جاذبيتها ربما تكون من القوة فلا يستطيع مقاومتها مهما حاول بعنف، فهي لم تكن مدركة لفتنتها بما يكفي للاقتناع بأنها يمكن أن تأسر رجلاً يتمتع بشخصية قوية مثل غارث ريفرز، وأخيراً غمغمت في تشكك:

"أعتقد أننا يمكن أن نعود، لكنني لا أعرف لماذا تصرف معي هكذا يا غارث؟"

"ولا أنا أعرف".

قال ذلك لكن انتابها انطباع بأنه ليس أميناً معها تماماً، وسألت نفسها: ما الذي ينبغي لها أن تفعله؟ ومن دون تردد قالت لنفسها أن هناك شيئاً واحداً معقولاً هو أن تقبل ما تقدمه لها الحياة وتشعر بالامتنان. لو كان هناك مستقبل ينتظرها، إذن لكان الرد مختلفاً تماماً... إذ انضغ من موقف غارث العام أنه لا يمكن أن تؤدي هذه العلاقة بينهما إلى شيء دائم، أنه لن يتزوجها إطلاقاً لأنه،

لسبب يعرفه هو أكثر من غيره، لا يكن لها الاحترام الكافي لكي يريد لها زوجة له، هل ينبغي لها أن تصر على معرفة السبب؟ وتجهمت إذ أدركت بالفعل أنه لا فائدة من تحريرات قد تؤدي الى لا شيء، فلنترك هذه المسألة، ولتأخذ المقبول وتحاول أن تستمتع بكل لحظة غالية باقية لها. هكذا منحته ابتسامة حلوة وقالت بصوتها الناعم الموسيقي:

"لا بأس إذن، لم تكن المسألة هامة. أجل، يمكننا أن نبدأ من جديد." لم تكن تعرف رد الفعل الذي تتوقعه. هل هو الاعتراف بالجميل أو الشكر الجزيل، والواقع أنها كانت ستشعر بالارتباك لو حدث ذلك.

"رائع يا وندي."

وابتسم حينئذ... واحدة من أندر ابتساماته جعلت قلبها يقفز فرحاً.

"والآن الى القهوة..."

٦ - حفلة الأزياء التنكرية

قضت وندي وغارث بقية النهار في انسجام لطيف واستمتعا بحمام شمس فوق أحد سطوح السفينة الكبيرة، واحتسبا المشروبات المثلجة، واستمعا الى الموسيقى، وتناولوا غداء شهيا ثم اشتركا في تناول شاي مابعد الظهيرة مع شطائر خفيفة لذينة وتبادلا الاحاديث المختلفة وقبل موعد العشاء بنحو ساعة وقفا بجوار الحاجز لبضع دقائق ثم توجه كل منهما الى غرفته الخاصة، ولم يذكر شيئا آخر عن الليلة قبل الماضية، وبدا كأن غارث مصمم على نسيانها تماما واستنحت وندي أنه، مثلها، راض بأخذ ما هو متوفر والاستمتاع الى أقصى حد بصحبته، تماما كما اعتزمت الاستمتاع بصحبته الى أقصى حد.

وفي تلك الأمسية كانت ستقام حفلة رقص بأزياء تنكرية وبما أن جميع الركاب عرفوا ذلك قبل الإبحار، فالذين كانوا ينوون الاشتراك جاءوا مستعدين تماما، وقررت وندي في النهاية، ألا تهتم بالأمر لكن بعد تفكير عميق أخرجت آلة الحياكة وأعدت لنفسها ثوبا رائعا يوناني التصميم، يشبه ذلك الذي ارتدته، في العصور القديمة، أثينا رمز الحرب والحكمة وحامية دولة أثينا، هذا الثوب الذي أطلق عليه اسم بيلوس، صنعته عشرات من الفتيات اليونانيات بأيديهن. لقيت فكرة ارتداء الثياب التنكرية أثناء العشاء قبولا، وجاء معظم الركاب الى المطعم مسرورين يرتدون ملابس مزخرفة أو مهلهلة، ويبدون في شكل مضحك مبتذل، أو

بمظهر وسيم مرحوق، وأخذ الحاضرون يضحكون بأصوات عالية، ولأن وندي عرفت أن جميع الموجودين على مائدتها والعائدة المجاورة أيضا سيردون ثياب الخفلة، ارتدت ثوبها وبعدما ألقت على نفسها في المرأة نظرة أطول من المعتاد رأت أنها لم تبد جذابة هكذا من قبل على الإطلاق لأن ثوبها البيلوس بثنياته الرقيقة يناسبها تماما وينسدل في رقعة عليها.

ورغم أن وندي كانت تدرك أن مظهرها رائع يلفت النظر فلم تكن مستعدة على الإطلاق للاستقبال الذي قوبلت به عند دخولها المطعم الفخم الذي تلمع فيه اثريات المتألثة بقطع الكرستال وأدوات المائدة البراقة. لقد سمعت أصوات الضحك الصاخبة وهي تتقدم نحو المدخل، وتصورت بعض الملابس المضحكة التي سترها - وتأرجحت ابتسامة على شفيتها وهي تخطو داخل الأبواب المزدوجة إلى الممر المتوسط، في البداية أخفقت في إدراك سر الهمسات الخافتة المفاجئة التي كانت موجهة إليها، لكن، أذ ألقت نظرة حولها في شيء من الحيرة بعدما خفت آخر ضحكة أدركت أن كل عيون القاعة مركزة عليها وكان رأسها عاليا، وقامتها منتصب، وهو أسلوبها الطبيعي في السير، واستمرت في سيرها وهي تدرك أن وجهها أحمر بشدة من الخجل، وأخيرا وصلت إلى مائدتها، وتنفست بعمق في ارتياح.

ونظرت حولها بابتسامة مرتعشة، وكانت عينا غارث وحدهما اللتان اهتمت بهما، رغم أن عيون الرقيقين الآخرين كانت تنظر إليها بإعجاب مماثل، وقطع فريزر الصمت قائلا: "تبددين خيالية!"

وردت مارجي كلماته لكنها أضافت: "يا عزيزتي، عندما ظهرت في الممر اعتقدت الملكة ذاتها وقد جاءت فوق السفينة بطريقة سحرية! بالمناسبة، هل أعجبك؟ وأنا بشخصية مدام بومبا دور؟"

أجل، فلنك تبددين مثالية يا مارجي. ثم استدارت إلى فريزر وهنأته على ملابسه التي تشبه ملابس القرصان، وهي تنظاهر بالخوف عندما لاحظت الخنجر المتدلي من حزامه، أما غارث فقد ارتدى ثوبا فخما مثل

قائد روماني وابتسمت له من دون أن تنبس بكلمة، لأنه كان ينظر إليها بتركيز كما لو كان يراها لأول مرة. وأرخت أهدابها وهي تشعر بالخجل وعدم الثقة وتتمنى لو كانت تملك رباطة الجاش والثقة اللتين تتسم بهما نيكول رنتون الهادئة المتعاسكة، وأخيرا قال غارث بلطف: "تهنئي".

وكان هذا كل ما قاله إلى أن كانا يرقصان معا في الخلبة بعد ساعة ونصف وبصوته الهادي المهدب قال لها: "تبددين فاتنة. أين وجدت هذه الأشياء التي تناسبك تماما؟"

صنعتها. ردت بذلك وهي تتعجب لماذا ينظر إليها بمثل تلك الدهشة وعدم التصديق. "صنعتها بنفسك؟"

بالطبع. ما الغريب في هذا؟ ولم يقل شيء وضمت تقول:

"رأيت صورة لهذا الزي في الكتاب عن الفن اليوناني، فقررت أن أحاول حياكة واحد للرحلة. تبدو مذهلة لأنني استطعت أن أنجزه."

ونظر إليها ثم هز رأسه قائلا: "ينبغي أن أعترف بأنني حدهش، يبدو الثوب معقدا لعيني الرجل. ودار بها وأدركت أن الموضوع انتهى، وأدركت أيضا أنه كان سيقول شيئا يعبر عن السخرية أو الازدراء، لكنه غير رايه."

ومضت الأمسية بعد ذلك على أجنحة ذهبية وعندما أعلنت أسماء الفائزين بعد لحظات من منتصف الليل دوي تصفيق خاد عندما قاد غارث وندي إلى المنصة، وقد علت حمرة الخجل وجهها، حيث تسلمت جائزتها من القبطان نفسه وقالت مارجي:

"حقيقية لمستحضرات التجميل من الجلد الباهر المزخرف، لكنها تساوي ثروة، سيبقى مدى الحياة يا عزيزتي."

أجل... سيبقى... مدى الحياة! وأدركت وندي أن وجهها أصبح

شاحبا وخفضت رأسها بسرعة وهي غير راغبة في أن يلاحظ غارث هذا الشحوب . واندفعت مارجي تقول في أشمئزاز :
"وذلك الرجل صاحب صالة البنغو كيف يكسب الجائزة الأولى للرجال؟ لا أعتقد أنه كان ينبغي أن يفوز . ألا توافقونني؟"
ضحك غارث وقال :

"لا بد أن الحكام شاهدوا أن ثيابه هي أفضل الثياب بين الرجال ، والا فامضوه الجائزة الأولى ،"
وكان الرجل يشمر بالسرور وهو يري الجميع ولاعة السكاير الذهبية التي كسبها .

وبعدما انتهى كل هذا اتجهت وندي وغارث الى سطح السفينة وأخذا ينظران الى البحر الهادي ، الداكن . كل شيء كان هادئا وأخذت يده تربت على شعرها الحريري وهو يقول :
"شكرا لك على النهار الجميل والأمنية الرائعة . سأدعك تذهبين الى غرفتك الآن لأنك منذ لحظات في قاعة الرقص كنت شاحبة وأعتقد أنك متعبة ."

وكانت لهجته ناعمة تتسم بالاهتمام ونساءلت ما إذا كان هذا يخيل إليها أم أنه قلق عليها حقيقة . ماذا يهم ، ونظرت اليه وابتسمت في وجهه وهي تقول :
"ينبغي أن أعترف بأنني متعبة الى حد ما . شكرا لك على يوم مدهش وأمنية سعيدة للغاية ."
"ولا ننسى أنك ربحت الجائزة !"

قال هذه العبارة وفي وجهه الوسيم تعبير عن الاحساس بالزهو ، مما جعل وجنتيها تتألقان فرحا ثم أضاف :
"كنت محظ أنظار الجميع وحصد كل امرأة هناك ."

وضحكا وتذكرت النظرات الداكنة الحاقدة التي رمتها بها نيكول زنتون في فترات مختلفة أثناء الأمسية . وتحدث غارث مرة أخرى وقال عدة عبارات إيطراء مما تحب سماعه ، وكانت يده التي تمسك بيدها دافئة وقوية ، وشعرت بالأمان وهي معه ، وفكرت : إنني أتساءل هل سيكون معي في ذلك الوقت فان الامر لن يكون مفرعا ، وهمست لنفسها وهي تدفن رأسها في صدره :

"سأكون أكثر شجاعة وهو معي ."

وأبعدها عنه ونظر إليها نظرة فاحضة وهو يواصل كلامه :
"إنك ترتعشين يا عزيزتي ما الأمر؟"
وكذبت وهي لا تدرك أنها ترتجف وقالت :
"الجو بارد قليلا هنا ."

وتجهم غارث وهز رأسه وهو يقول :
"أتحسین الجو باردا؟ إنه ليس كذلك ، إنما أنك مرهقة للغاية أو أنك على وشك الإصابة بفزلة برد ، لنأمل أن تكون الحالة الأولى ."
وردت بخفة :

"أنا متأكدة أنها كذلك ، أنا لا أصاب بالبرد كثيرا ."
وفي لهجة حاسمة أمرت قال :
"إذن ، الى الفراش أيتها السخابة ، وأياك والجلوس والمطالعة ."

كم يبدو مثل الأطباء وهو يقول ذلك . فكرت في هذا وهي تتذكر مناسبة سابقة لاحظت فيها الشيء نفسه وقال باللهجة الأميرة نفسها :

"الأفضل أن آخذ منك وعدا بذلك هل تعديني؟"
"أعد بأنني لن أطالع ."

وتأرجحت أفكارها وهي تشعر بمتعة في هذه اللحظة من ذلك الحب الذي طغى عليها . وبعد لحظة أخرى قالت ثانية :
"لا . لن أكون خائفة وهو معي عندما تأتي النهاية ."

كانت زيارة بالي في مقدمة المعالم البارزة للرحلة البحرية ، وطول اليونانيين السابقين لوصول الباخرة إليها أظهرت وندي شعورها بالترقب السعيد ، إذ قال غارث أنه سيستأجر سيارة لليوم الأول . أما اليوم الثاني فيمكنهما أن يتجولا كما يرغبان ويستمتعا بالمناظر بطريقة أكثر سهولة وراحة .

ورست السفينة في الثامنة صباحا ، وكانت وندي وغارث على استعداد للنزول الى الشاطئ ، فورا ، وبعد نصف ساعة كانا في السيارة وقد جلس غارث أمام عجلة القيادة وقصدا أولا حي جيليك أندماس حيث كانت وندي تريد أن تشاهد الحفلات الفضية اليدوية وأشغال الحفر على الخشب الخرافية التي سمعت عنها من مارجي ، وكان غارث في

شوق مثلها لرؤية تلك الأعمال اليدوية . طول الطريق، السيارة
تحمضي تحت سماء صافية ساطعة الشمس كانت وندي تبدي
تقديرها وهي مسحورة، بحال الجزيرة الذي لم يمس، تلك
الجزيرة التي كانت تمثل أقرب مكان للجنة، كما أخبرتهما
مارجي في الليلة السابقة ورغم أن بالي بمثابة حلقة صغيرة
واحدة بين سلسلة الجزر التي تسمى أندونيسيا فإنها تتمتع
ببحر خاص بها، في بساطتها وصدقها . في مزرعاتها ذات
اللون الأخضر اللامع، وأزهارها الرائحة التي انتشر شذاها
الجميل حتى وصل إلى السيارة، وقالت وندي بتأثر شديد:

"أليست جميلة؟ كنت أدرك أنني لن أصاب بخيبة أمل فيها !"
وأدار غارث رأسه الداكن واختلس نظرة إليها من الجانب
لحظة خاطفة قبل أن يحول انتباهه إلى القيادة، ولم يتكلم،
وأدركت أنه في إحدى حالاته المزاجية التي يرغب فيها أن
يكون هادئاً، يتطلع حوله ويستمتع بالمناظر الريفية التي
يسير وسطها، فقد كان في الحالة نفسها عندما استأجر
سيارة في ريو ومرة أخرى عندما رست السفينة في ميباسا،
ثم في بومباي، واحترمت وندي رغبته في الهدوء، فجلست
صامتة، وسعيدة لأنها حية وقادرة على الاستمتاع بكل ما
حولها . إلا أنها لم تستطع أن تفهم لماذا يحيط هذا الرجل
نفسه بهالة من الغموض؟

وكانت الطريق في بالي ممتازة، أما الطريق الذي كانا
يسيران فيه فكان يحف بالشاطئ، الجميل الذي تصطف أشجار
النخيل على جانبيه وينتهي إلى التلال، وبعدما عبرا قرية
شاهدت وندي النساء، عن بعد يعملن في حقول الأرز أو
يتسلقن أشجار جوز الهند .

وعندما اعتقد غارث أنها أصدرت صوتاً خفيضاً ينم عن
الازدراء قال في سرور:

"إنهن لسن من المبيد كما يخیل إليك . بل يحببن العمل مع
رجالهن وما يكسبنه يكون ملكاً لهن ."

"أتعني أنهن يحصلن على نصيب مما يأتي به المحصول؟"

"بل يمكنك أن تقولن أنهن يقمن بعمل تجاري صغير خاص
بهن . يرببن العاشية والدواجن ويبيعنها، كذلك

يقمن بعمليات النسيج لزيادة الدخل ."

"إنهن سعيدات للغاية، ورشقات جداً ألسن كذلك؟"

كانت وندي تراقب فتاة شابة، تضع فوق رأسها سلة ضخمة
باتزان وتسير بمنتهى اليسر والرشاقة، ووجهها الجميل خال
من أي تعبيرة، عيناها تنظران مباشرة أمامها، قدماها
حافيتان، ورأسها منتصب وردفاها يهتزان بطريقة إيقاعية .
"إنهن رشقات جداً في الواقع ."

رد غارث بذلك وهو يدور حول منحني ويترك القرية وراءه
وأخيراً وصلاً، واشتري لها عدة تماثيل منحوتة بدقة وسواراً
من الفضة بعدما أوقف بقسوة محاولاتها للاعتراض، وليست
السوار الذي تبيته فوق رصفها وهو يبتسم واحمر وجهها خجلاً
وقالت:

"أشكرك ."

"لماذا؟"

"لأجل السوار الجميل، وكل تلك الهدايا الأخرى الجميلة التي
اشتريتها لي ."

وعادا إلى السيارة وسارا بها عبر الريف الجميل ومرا بين
القرى حيث أمكن، من خلال الأبواب المفتوحة للمنازل البدائية
المبنية بالطين، مشاهدة خيال النساء وهن يتحركن داخل
بيوتهن، وقد تعرت أكفافهن وغطيت الأجزاء السفلى من
أجسادهن بازار طويل ينسدل حتى أقدامهن تقريباً، ثم خرجت
واحدة أو اثنتان وهما تحملان فوق رأسيهما مجموعة من
القرايين، وأوقف غارث السيارة ليضع دقائق وجلس هو وندي
يراقبان بينما انضمت إلى السديتين نساء أخريات من البيوت
القريبة وشكلن موكباً بدأ يشق طريقه في بطن نحو مذبح أقيم
في الهواء الطلق، وهنا توقفن لوضع قرايينهن .

"بالى أرض المعتقدات الخرافية ."
قال غارث هذا عندما بدأت النساء في التحرك مرة أخرى،
ثم أضاف:

"وهكذا تجدين تلك القرايين العديدة . ليس هناك ما يخيف
المواطن أكثر من فكرة أغصاب السماء، إنهم يفعلون أشياء لا
يصدقها العقل لإبعاد الأرواح الشريرة، ولو قدر لك

أن تعيش في بالي لوجدت نفسك تفعلين أشياء ممنوعة*
مثل ماذا؟*

* ينبغي ألا تنامي وقدمك تتجهان الى الشمال أو الشرق يجب ألا تضربي رأس طفل، وألا توقظي طفلاً نائماً بسرعة بالغة*
وحملت وهي لا تصدق وقالت:

* لماذا لا توقظ طفلاً نائماً بسرعة كبيرة؟*

* لأن روحه التي تكون هائلة وهو نائم قد لاتجد الوقت الكافي للعودة الى جسده، وإذا قطعت شجرة جوز الهند ينبغي أولاً أن تقبلي الجذع وتتوسلي الى الشجرة كي تغفر لك ما ستفعلينه ويجب ألا تسيري أبداً فوق حبوب الارز التي قد تشاهدونها منتشرة داخل باب أحدهم* إنها قربان مقدس، وبعد أن يتسنى لك الدخول الى البيت من دون أن تثيري غضب الأرواح الشريرة، عليك ألا تضعي ساقيك إحداهما فوق الأخرى بأي شكل من الأشكال، لأنه لو كانت إحدى كعبيك لا تلمس الأرض لتمكنت أرواح شريرة عديدة من الإحاطة بك*
وعند هذا الحد كانت وندي قد أصابها نوبة من الضحك الشديد الذي مالبث أن أصاب رفيقها وقالت:

* فكرت دائماً أنني أحب العيش في بالي، لكنني الآن لست متأكدة على الإطلاق أن الحياة ستكون مريحة تماماً، هلا أخبرتني بالمزيد؟*

* يمكنني أن استمر الى الأبد، لأن قصة المقدسات في بالي لاتنتهي*.

* لا بد أن هذا يؤثر على السياحة الى حد كبير بالتأكيد؟*
* فعلاً، ولهذا بقيت الجزيرة جذابة للغاية وحالتها باقية على ما هي عليه. قمع وجود كل هذه المحرمات الدينية فإن المدنية لا يمكنها أن تدخلها لأن المرء لا يمكنه ببساطة أن يفعل هذا وذاك أنها أرض العادات الغربية التي تأصلت فيها منذ قديم الزمان بطريقة مبهمه راحت أسسها في طي النسيان ولكن بقيت العادات المرتبطة بها*
* إنه شيء ساحر ومخيف في الوقت نفسه*.

وأكد لها:

* ينبغي ألا يكون ذلك مخيفاً، فليس هناك ما يخيفك

بشأن أهالي بالي فهم أناس وادعون وسعداء للغاية رغم عاداتهم القريية وطقوسهم الدينية المتيقة*.

وقال غارث أنه سيصحب وندي الى فندق شاطيء بالي لتناول الغداء وعندما وصلا قابلا العديد من ركاب قايسون وتشكلت منهم مجموعة مرحة ونتيجة لذلك استغرق الغداء مدة أطول من الوقت المتوقع*.

وبقيا لمشاهدة عرض لرقصة الليفونغ، ثم مضيا في طريقهما مرة أخرى، وفي المساء وبعدما تناولا العشاء في فندق شاطيء بالي ذهبا مع مارجي ودينبي الى عرض لرقصة أخرى، يطلق عليها اسم هتجاك ويقال أنها أقوى رقصات بالي، وكانت نوعاً من التمثيل الصامت لمجموعة منشدة تلتف حول شعلة متأججة، والمفروض أنها تطرد الأرواح الشريرة: * يطلق عليها أيضاً اسم رقصة الفرد*.

قال غارث ذلك لوندي وهما يتجهان نحو إحدى القرى للانضمام الى أهلها الذين بدأوا بالفعل في التجمع فوق الخضرة بينما الشعلة المتقدة كانت في الوسط تشبه شعلة من النيران، وقالت مارجي بصوت عال كالمعتاد:

* يا إلهي، كم راقصاً هناك؟*

وقال دينبي الذي كان يجلس بجوارها:

* نحو مائة وخمسين يبدو أنها ستكون رفصة رائعة!*

وبدا الراقصون يقومون بحركات مفاجئة وينشدون الاناشيد وأجسادهم تتمايل في المسحاج كامل، وبين الحين والآخر ترتفع أيديهم نحو السماء، وفي النهاية سقطوا على الأرض وظلوا بلا حراك، فقد انتهى عرضهم*.

وقالت مارجي:

* هذا جميل*.

واستدارت الى وندي وغارث وهي تبتسم ومضت تقول:
* لا بد أنكما أعجبتما بها، أنه شيء يستظل ذكره قائمة، ليس كذلك أيها الأعزاء؟*

وابتسم غارث وقال:

* أجل هذا صحيح*.

ثم أمسك بيد وندي وغادر الأربعة المرح الأضمر في

القرية سيرا نحو السيارة وأضاف غارث:
"سمعت أن هناك قصة حول الرقصة بدأت أتذكرها."
قالت خارجي بلهفة:

"قصة؟ أخبرنا بها إذن، ونحن في طريق عودتنا إلى السفينة وأدع غارث وبينما هو يعود بهم جميعا إلى السفينة وبلهجته الهادئة المهدئة، أخبرهم بأسطورة راما ساجا الهندوسية ونقول أن الأمير راما خرج يوما للصيد في الغابة الملكية، وأخذ يطارده حيوانات الأيل ذات القرون الذهبية، عندما زار بيته رافينا ملك الشياطين الذي هرب مع زوجته الأميرة الجميلة سيتا وعندما اكتشف ذلك أطلق عليه سهما تحول إلى ثعبان والتف حول راما وجعله أسيرا له، لكن الآلهة هبت لنجدة، وأرسلت الطير الرمزي جارودا الذي جمع جيشا من القردة لم تطلق سراح الأمير فقط ولكنها أنقذت الأميرة أيضا."

وقالت وندي:

"لهذا يسمونها 'رقصة القرد' - يمكنني الآن أن أفهم لماذا كانت حركات الراقصين، في الغالب، تقليدا لجيش من القردة."

وقالت خارجي:

"كانت قصة لطيفة تلك التي قلتها لنا يا غارث، شكرا جزيلا لك."

وأجاب بهدوء:

"العفو، انني استمتعت بسردها."

واقترعوا من حينئذ السفن، وأمكن رؤية الباخرة البيضاء الضخمة من خلال أشجار النخيل العالية المتشابكة، وكان البحر ساكنا، تسفل إليه ضوء القمر الفضي. فبدأ متألئا فوقه مثل قطع الماس الصافية البيضاء أسفل السماء الاستوائية الرخبة التي تنتثر فيها النجوم.

وتبادل الأربعة تحية المساء، ومضت خارجي ودينبي في طريقهما بينما اتجه غارث ووندي في طريقهما أيضا إلى سطح السفينة الأعلى حيث كانا سيقضيان

كالاعتاد، فترة قصيرة من الزمن معا قبل أن يلقي كل منهما على الآخر تحية المساء.

وفتحت وندي فمها لتشكر غارث لكنه منعها، وتوقعت أن يحملها غارث إلى العالم السحري المذهل الذي يمكنه بسهولة أن ينقلها إليه.

لكن، لدهشتها، ابتعد، وبدون سبب أحست بفتور من جانبه. لاء، ان الفتور لم يعثره فجأة، بل كان موجودا في أعماقه ويظهر بين الحين والآخر طول الساعات القليلة الماضية، ويتسلل إلى الموقف الودي الذي اعتبرته أمرا واقعا. هل ضايقته بشكل أو بآخر؟ وباءت محاولاتها لاسترجاع شيء من هذا بالفشل، وقررت أن هذه مجرد حالة من حالات تقلباته سيعبرها في النهاية، وكانت قد قررت بالفعل ألا تدع هذه التغيرات في مزاجه وأسلوبه تؤثر عليها بأية صورة خطيرة، إذ أنها لا تهم حقيقة وهي في حالتها هذه من عدم الشعور الكلي بالأمان، كل يوم، كل ساعة بل حتى كل ثانية، أصبحت لها قيمتها. لا تريد أن تسمح لأي تغير بسيط في أحوال غارث بأن يطغى على هدوء ذهنها.

"ماذا نفعل في الحياة؟ اعني عندما لا تكون في رحلة كهذه؟" سألت وندي هذا السؤال لمجرد أن يكون هناك شيء تقوله لأن الصمت أصبح ثقيلًا وغير مريح إلى حد كبير. أجاب بتقطعية عميقة جعلتها تندم على السؤال:

"لا أعتقد انني أريد التحدث في هذا الموضوع... لا اليوم ولا في الغد..."

ونظر إلى أعلى: تغيرت السماء بشكل كبير وأصبح القمر الآن يدور وسط سلسلة من السحب، ومضى يقول بعد قليل من الصمت الثقيل متجاوزا اللحظة الحرجة:

"ربما تمطر، فقد أصبحت السحب تنذر بالسوء."

وكان صوته يتسم بنبرة قاسية. قالت لنفسها:

"حسنا غدا يتخلص مما يكدره."

وقالت وهي ترفع يدها بفتور وتتناظر بأنها تمنع التثاؤب:

"طابت ليلتك يا غارث، أرجو أن تنام نوما عميقا."

"طابت ليلتك. سنتقابل غدا كالاعتاد في موعد الافطار."

"سنقوم برحلة أخرى خارج السفينة؟"

• بالطبع •

وأخست بالارتياح، فقد كسبت يوما آخر في رفقته.
ورافقها إلى حجرتها حيث تركها، ووقفت في فتحة الباب
ورافقته وهو يضيئ ثم، وكما لو كانت مدفوعة بقوة ما لم
تستطع السيطرة عليها، استدارت وعادت إلى سطح السفينة
حيث وجدت كرسيًا في الظل وجلست، وهنا، حيث جلست،
كان يسود الهدوء والسلام، واتكأت إلى الخلف وتركت العنان
لعقلها يفكر مليًا في النزعة التي استمعت بها.

ولم تستطع أن تعرف كم مضى من الوقت عندما قطع
تفكيرها صوت غارث وفريزر وانكششت في دعر إلى الخلف
واستندت إلى ظهر المقعد الداكن وظلت ساكنة، وظهر
الرجلان ووقفًا بجوار الحاجز وكانت قائمتهما في الظل
وصوتهما ليس واضحًا أيضًا، لكن صوت فريزر كان من الأسهل
قليلا التقاطه من صوت غارث.

•... إنها هي الفتاة... أنا واثق •

ورد غارث ردا لم تسمع وندي منه إلا كلمة واحدة فقط
هي "الشكوك" التي جاءت في آخر العبارة.

• هذا واضح وإلا لما كنت... •

وأخفقت وندي في التقاط باقي العبارة، وألقت نظرة
حولها، تبحث عن وسيلة تهرب بها دون أن يلحظها أحد.
وجدت هذا مستحيلا. وبما أنها كانت ترفض أن تكشف عن
نفسها أمام غارث، الذي رافقها منذ فترة وجيزة إلى غرفتها،
فلم يكن لديها أي اختيار إلا البقاء حيث هي حتى يرحل
الانثان.

•... هذه حماقة يا غارث... •

كان هذا صوت فريزر مرة أخرى، وبدت نبرته كما لو كانت
تعني أنه يقول كلام تحذير إلى صديقه.

• أعرف أنك على حق ومع ذلك... •

سمعت وندي هذه الكلمات بوضوح. كلمات قالها غارث،
وعند ذاك بدأ الرجلان يسيران بعيدا عنها، وشمرت بالارتياح
عندما اختفى الرجلان، لأنها أصبحت هي نفسها قادرة على
التحرك.

ورغم أن الأمر لم يكن يتعلق إطلاقا بها فقد غلبها النعاس
وهي تتسائل عما كانا يتحدثان.

٧ - الموت يكشف الحقيقة

كانت وندي وغارث في القاعة القرمزية . هي تتصفح مجلة بينما غارث يقرأ نسخة من صحيفة السفينة . سبعا فترة من الصباح وبعد ذلك رقدا تحت أشعة الشمس لمدة ساعتين ، وعندما انتهى الفداء اتجها لمشاهدة أحد الأفلام ، لكنهما أحسا بأنهما غير مهتمين به بما يكفي للبقاء حتى نهاية العرض فخرجا واتجها نحو تلك القاعة ، حيث توقعا مقابلة فارجي ودينبي اللذين ذكرا أنها سيقضيان ساعة او اثنتين في مطالعة الصحف .

وضعت وندي مجلتها جانبا ، وراقبت غارث من طرفه ولاحظت الملامح الأرستقراطية الصارمة ، والتجاعيد الحادة لعنقه وفكه ، وسمه العناد التي ترسم على الفم ، وقد استقر رأسه بنبل فوق كتفين عريضتين مستقيمتين أما شعره الداكن فبدأت بعض شغيرات بيضاء قليلة تظهر فيه عند الوجنتين . وعندما شعر بنقصها الدقيق له أدار رأسه والتفت عيناها بعينيها لحظة طويلة قبل أن تخفض رموشها وتخفي تعبيرها عنه حيث اندفعت دماء الخجل الى وجنتيها .

التقطت مجلتها ، وسبعته بقلب صفحة ، ثم ساد الصمت بضع دقائق قبل أن يقلب صفحة أخرى ، واستمرت في تقليب الصفحات ، تتوقف كل حين وآخر عندما تجد شيئا يهيجها . وهي لا تكاد تعي الأنغام الناعمة لموسيقى "هاندل" تملأ القاعة من المكبرات المعلقة في الأركان ، وفجأة توقفت الموسيقى

وسمع المذيع وهو يقدم أهم الأخبار :

"في حادث تحطم طائرة صباح اليوم كانت ممثلة السينما لينيز مافارو من بين تسعة وثمانيين شخصا لقوا حتفهم" .

وتنبهت وندي الى نظرة الفرع التي بدت على غارث وألقت عليه نظرة جانبية ، والتفت هو في هذا الوقت اليها ، والتفت عيناها ، ولم تحاول أن تقرأ تعبير وجهه الذي أصبح غريبا للغاية وأدارت رأسها وهي تشعر بعدم الارتياح بقاتا من تلك النظرة الثابتة غير المبتسمة . وفكرت : اذن فريزر كان مضطرا في اعتقاده أن لينيز مافارو على ظهر الباخرة ، تقوم بالرحلة وهي متنكرة . وأضاف المذيع أنها خسارة كبيرة للأفلام البريطانية ، ثم انتقل الى الحديث عن شيء آخر ، ولم تهتم وندي حينئذ بأن تنصت ، اذ كان اهتمامها كله مركزا على غارث الذي بدا أنه تحت تأثير انفعالات متضاربة ، وعجبت لذلك لأنه قال أنه لم ير حتى واحدا من أفلام هذه النجمة .

وابتلع شيئا يبدو أنه كان يسد حلقه وأطبق يده التي كان يضعها فوق المائدة فجأة مما يدل على أنه تأثر بعمق بالأنباء التي أذيعت بالراديو للتو : واضطرت أن تقول :

"أمنالك شيء ما ؟"

قالت هذا كما لو كانت تريد فقط أن تضع حدا لتلك النظرة الثابتة المتسمة بشيء من الندم ، والتي كان يحدجها بها ، ولم يرد وقررت أن تقول :

"لينيز مافارو هذه ... في يوم إبحار السفينة سمعتهما - عفوا - أنت وفريزر تتحدثان عنها" .

وقاطعها بحدة .

"حقا ؟ ماذا سمعت ؟"

"قال فريزر إنه يعتقد أنها ضمن ركاب السفينة متنكرة كفتاة سمراء" .

وتحركت عضلة في حلق غارث :

"ألا تعرفين كيف تبدو لينيز مافارو ؟"

"كلا ، لم أشاهد إطلاقا أيا من أفلامها" .

"ألم تري صورها أيضا؟"

وارتجكت في خيرة، ومدت يديها بدون تفكير وهي تقول:

"إنني لا أفهمك يا غارث، لماذا تسألني هذه الأسئلة؟"

وتردد، ثم هز رأسه وبدأ كما لو كان يبحث عن الكلمات المناسبة التي يستخدمها، واستغرق في ذلك وقتا طويلا إلى حد أنها قررت أن ترد على سؤاله الأخير؟

"أظن أنني رأيت صورة لها في وقت ما."

وبدا كما لو كانت تلك هي البداية التي يبحث عنها لأنه تحدث الآن، وسألها ما إذا لم تكن لاحظت التشبه بينها وبين النجمة وكانت قبيلة مدوية أسكتتها، ووجدت نفسها مذهولة. ولمست شعرها بانفعال وقالت:

"هل تشبهني؟ واعتقدت أنها أنا... أعني هل كنت تشك في أنني لينيز مافارو؟"

وكانت لا تزال مبهورة للغاية وغير قادرة على التصديق أن أي شخص يمكن أن يخطيء بينها وبين لينيز مافارو القاتنة ذات الجمال الخارق، عندما قال:

"وندي... اقترفت غلطة لا تغتفر في حقك، كنت أظن أنك لينيز مافارو. وهي امرأة لا أكن لها ذرة من الاحترام... وسادت فترة صمت أخرى طويلة وثقيلة، وكان كل ما استطاعت قوله:

"هكذا يتضح الكثير..."

وأوما برأسه مرة أخرى وأضافت:

"ومع ذلك... فإذا لم يكن باستطاعتك احترامني، أي احترامها..."

وتلعنمت وتوقفت عن الكلام ثم بدأت تتكلم مرة أخرى قائلة: "إنه، منطقيا، إذا كان شعور غارث وفريزر هكذا إزاء الأمر، فلماذا أنشأ هذا العلاقة الودية بينه وبينها؟"

"أعتقد أنه كان ينبغي لك الابتعاد عني من البداية..."

وحينذاك تأرجحت ابتسامة غريبة صغيرة على ركني فمها ورد ردا ملتويا:

"يبدو أنك نسيت أنك رفيقتي على المائدة..."

"أجل... نسيت... لا... كيف يمكن أن أنسى؟"

"عزيزتي... أنت مضطربة للغاية، وهي غلطتي، ما كنت أحاول قوله هو أنني ينبغي لي أن أكون بالقرب منك من حين على الأقل يوميا. وفي كل مرة أكثر من ساعة. لذلك لم يكن باستطاعتني أن أباعد بيننا كما أوصيت..."

"لو كنت كما تقول لا تحترم تلك الفتاة، كيف يمكنك أن تقضي كل هذا الوقت معها، أعني معي؟"

وفجأة بدأ الموضوع كله فكها لدرجة أنها وجدت نفسها على وشك الضحك وأضافت:

"يا له من موقف معقد! والآن اذ أنظر إلى جميع جوانب المسألة أشعر بأنه كان ينبغي أن أفطن منذ فترة طويلة ما يجري. لأن فريزر - أيضا - كان يتصرف معي بطريقة غريبة..."

ودد يديه عبر المائدة ووضعت يديها بينهما في سعادة، ثم قال:

"عزيزتي، لا بد أنك كنت شديدة الحيرة، رأيت ذلك مرات في عينيك الجميلتين لدرجة أنه كان ينبغي لي أنا أن أعرف بالخطأ. لكن لم يكن لدي دليل؟ لقد اعتمدت على كلام فريزر وهو ما لا يغتفر على الإطلاق..."

وقالت مازحة:

"في إحدى المناسبات قلت شيئا فهمت منه أنك تخطئ بيني وبين شخصية أخرى..."

"ربما كان ذلك عندما اتهمتك بأنك ممثلة قديرة..."

وتوقف عن الكلام وهو يهز رأسه وينظر إليها بتعبير الندم العميق ثم قال:

"أيمكن أن تغفري لي الطريقة التي كنت أعاملك بها؟"

"بل كنت مدهشا معي يا غارث..."

قالت له ذلك بصدق وكانت تود باخلاص أن تصيف: "يوما..."

ربما قريبا جدا، ستعرف ما فعلته من أجل أن أشعر بالرضى لأنك فعلت الكثير لفتاة في حاجة ماسة إلى عطفك..."

لكنها أحجمت إذ لم تكن ترغب بوضع نفسها في موقف حرج لأن الأمر لا يعدو أن يكون بالنسبة إليه، في النهاية، مجرد مغازلة لطيفة جدا..."

وقال بوجه مضطرب:

"مدهش؟ لا يا عزيزتي، بل كنت فقط وليس لي عذر على الإطلاق والجميل أنك لم تطلبي مني أن ألقى بنفسي إلى الجحيم".

وقطعت كلامه قائلة:

"لم أكن لأفعل ذلك على الإطلاق، كنت سعيدة جداً برفقتك". ولكنها لم تفه بما كان في بالها وأن الفتاة لا تطلب من الرجل الذي تحبه أن يلقي بنفسه إلى الجحيم لأنه صدق كلماتها. وأحسّت بأن الفكرة هزلية لذلك تراقصت ضحكة في عينيها فجأة، وأصبح اهتمامه كله مركزاً عليها وتساءلت ما إذا كان ذلك مجرد خيال أم أنها سمعته يحبس أنفاسه؟ ولما لم يتكلم مضت تقول:

"فهمت الآن لماذا كنت تعتقد أنني أكبر سناً، كذلك لماذا دهشت للغاية عندما قلت إنني يمكنني الحياكة. وأعرف أي سؤال كنت ستطرحه علي فهو ما إذا كنت لينيز مافارو، أليس كذلك؟"

"أجل، كنت سأفعل".

"عندما سمعتهما مصادفة تتحدثان أنت وفريزر في ذلك اليوم الأول، كان يقول إن لينيز مافارو من عاداتها أن تخرج وحدها وتنتظرها بأنها فتاة بريئة صغيرة".

وتوقفت وندي ورفعت يدها إلى قممها بينما أضاعت عينا غارث بالفرح لأول مرة لأنها كانت تبدو مضحكة.

"أجل يا عزيزتي، أنك نموذج للفتاة البريئة الصغيرة، وأرجوك ألا تحاولي تغيير نفسك إطلاقاً".

واحمر وجهها خجلاً، ولم تجد كلمات تقولها وهي في قمة ارتباكها، لكنها، أخيراً، قالت:

"في هذه الحالة، لا بد أنني أطابق الصورة تماماً؟"

وتجهم وقال في لهجة سريعة:

"كان ينبغي أن أعرف، لا بد أنني كنت أعمى!"

"لا تزعم نفسك بهذه المسألة، فهي ليست هامة على الإطلاق الآن".

"يكون الأمر هاماً عندما يؤذي شخصاً ما، إنني أطلب غفرانك يا وندي".

"لكنني أغفر لك بالطبع".

ونظر إليها، وكان في عينيه شيء لم تستطع أن تسبر غوره، رغم أنها بذلت كل ما في وسعها في سبيل ذلك، وأخيراً قال لها:

"إنك شيء خاص جداً، لست فقط تتمتعين بجمال الجسم، لكن لك شخصية جميلة جداً أيضاً".

وهزت رأسها ورفعت يدها احتجاجاً. لكنها أنزلتها مرة أخرى وقالت:

"أرجوك ألا تتحدى! فكر في خجلي... وتواضعي..."

"أسف يا عزيزتي، لن أفعل".

وتوقف عن الكلام ونظر هو ووندي إلى أعلى حيث كان فريزر قادماً نحوهما وقد ظهر القلق على وجهه الذي لوحته الشمس وأخذ ينقل نظراته بينهما، وقال غارث من دون أن يعطيه فرصة للكلام:

"أجل، سمعت بنياً حصرع لينيز مافارو في حادث تحطم الطائرة".

وألقى نظرة سريعة تعبر عن الشعور بالذنب نحو وندي ثم قال:

"أسف للغاية يا غارث، كنت أعتقد، حقيقة، أن معلوماتي صحيحة".

وقاطعته وندي بابتسامة:

"لا تقلق على شيء يا فريزر، غارث وأنا كنا نناقش هذا الأمر".

وطرف فريزر بعينيه ثم حدق فيها وهو غير مصدق وقال:

"إذن أم تتشاجرا بشأن ذلك؟"

"ليس هناك سبب يجعلنا نتشاجر، كانت غلطة مفهومة من جانب غارث..."

وقاطعها بتلك اللهجة المتعجرفة التي تعرفها جيداً:

"أفد كان شيئاً رديئاً لا تمضي في خلق الأعذار لي يا وندي..."

ومحنته واحدة من أحلى ابتساماتها وهي تقول:

"ألا يمكننا أن ننسى الموضوع؟ كل منا يستمتع برفقة"

الآخر . وهذا كل ما يهم بالتأكيد .

وأوما برأسه ونغمم تعبيراً عن الموافقة، لكنهما واصلا حديثهما، غير أن وندي حينما تركته وأصبحت في غرفتها تتمتع بقبسط من الراحة والهدوء قبل العشاء، تذكرت شيئاً قبيلاً في البداية ولم يناقش مرة أخرى بعد ذلك، وهو: ما السبب في أنه - وهو يعتقد أنها من ذلك النوع من النساء الذي لا يمكنه احترامه - لم يبتعد عنها منذ البداية، وقد أشارت هي لذلك فذكرها بأنها رقيفته على المائدة .

وتأملت وسط أفكارها فترة طويلة . . . لماذا اهتم بها؟ وتذكرت انطباعاتها، ففي أكثر من مناسبة شعرت أنه ممزق بين دافعين، فمن جانب يريد أن يحبها، ومن جانب آخر لا وقت لديه يخصص لها، هذا هو السبب في أنه عاملها بمثل هذا الازدراء - أحياناً - بينما في أحيان أخرى كان رقيقاً ومهتماً للغاية بها .

كان يناضل ضد ماذا؟ شيء ما تقلص بداخلها ووجدت نفسها ترتعش . ينبغي ألا يقع في حبها . وهمست في لهجة إلحاح: "عزيزي غارث . . . لا تحبني . . . أرجوك . . . لا تفعل . . . فأنني لا أستطيع أن أتحمل فكرة إصابتك بألم"

* * *

طول اليومين التاليين كانت وندي مترقبة لأية إشارة تدل على أنه وقع في حبها، لكنها لم تلمس شيئاً من هذا، وعندما حان موعد رسو السفينة في هونغ كونغ استعاد ذهنها صفاءه تماماً . يبدو الآن أنها تتمتع بأفضل الأوضاع: سعادة حبها له، والموقف اللطيف الجديد الذي يتخذه إزاءها منذ اكتشاف غلطته، وراودها الأمل في أن يفي من حياتها شهر آخر على الأقل كي تتمتع به - لكن دأهمها ألم قاتل في رأسها مرتين خلال أربعة أيام، واضطرت إلى البقاء في غرفتها، وكان تفسيرها، أنها مرهقة وترغب في الراحة، مقبولا لدى غارث بلا مناقشة .

وكانت هونغ كونغ من بين المعالم البارزة في الرحلة -

فيما يتعلق بوندي - ومرة أخرى أبدت تشوقها لزيارتها قبل فترة طويلة من يوم وصول الباخرة إليها . وكما هو الحال دائماً كانت وندي وغارث من بين أول الركاب الذين غادروا السفينة عندما وصلت إلى الجزيرة في القامنة من ذلك الصباح، وقررا أن يقوما بجولة في الباص الصباح التالي، لكنهما صمما أن يكتشفا الجزيرة بنفسيهما في اليوم الأول، وأذعن غارث لطلب وندي بأن يقوما بجولة في قارب بخاري حول الميناء الجميل .

ولما حانت الساعة التاسعة كانا يقومان برحلتها البحرية بين الجزر الصغيرة ويخترقان سلسلة السفن الضخمة والقوارب البخارية والزوارق الصغيرة التي تعرف باسم "الساميان" . وشاهدوا مجموعة هائلة من الناس يقيمون في ملجأ "يا أوماتي" للحماية من الأعاصير حيث أقيمت لهم مدرسة ومستشفى وكنيسة فوق زوارق "الساميان" الصغيرة . وتناولوا الغداء في أحد المطاعم العائمة الضخمة المزينة بزينات مفرحة، وقضوا فترة بعد الظهر في التجول بين المحلات التجارية حيث أخذت وندي تبحث عن هدية تشتريها لغارث . فاككتشت، لفرحتها الكبرى، حسنتين منقوشين رائعين من مساند الكتب، وكانت الهدية غالية وشعرت بالارتياح عندما ابتعد عنها غارث لمشاهدة شيء في الطرف الآخر من المحل التجاري حيث ظل فترة طويلة تكفي لتدفع قيمة مشترياتها دون أن يكون لديه أية فكرة عن ثمنها .

وأعطتهما إليه فور عودتهما إلى السفينة وهما على وشك الاشتراق ليذهب كل منهما إلى غرفته فيغتسل ثم يغير ملبسه استعداداً للعشاء، وعندما حل موعد العشاء كانا أول من يشغل المائدة، وحينئذ شكرها على هديتها قائلاً: "إنني فرح بها، وسأحتفظ بها دائماً" .

ولما انتهت تلك هي الكلمات التي أرادت سماعها، وشعرت برامة كبيرة فسيكون لديه شيء يذكره بها . وكان ينظر إليها عبر المائدة وفي عينيه احترام كبير، وهي ترتدي ثوباً بسيطاً، الحلية الوحيدة التي تتزين بها قرط طويل من

الذهب المصنوع بالماس اشتريته ذات مرة من أحد محلات التحف الصغيرة في المدينة حيث كانت تعمل. أما شعرها، الذي صففته في الليلة السابقة في صالون تصفيف الشعر في السفينة، فكان يلعب ببريق دافئ تحت أضواء الشموع وسط المائدة وكان وجهها، الذي زادت قرحة اليوم مع غارث حيوية وسعادة متلألئا بالصحة.

وهمس غارث وهما مازالا وحدهما.
"وندي... إنك فاتئة للغاية. ينبغي أن تحدثيني عن نفسك يا عزيزتي، أريد أن أعرف كل شيء عنك."
وأسدلت رموشها وشعرت بالارتياح لظهور مارجي وفريزر اللذين تقابلا في البار وغادراه معا للمجيء إلى العشاء.
تحدثته عن نفسها؟ فكرت وندي وأدركت الآن فقط إلى أي مدى لا يعرف كل منهما الآخر إلا النذر اليسير. لكن هذا ليس بغريب لأن نوع علاقتهما - الصداقة التي تقوم فوق السفن - ليست من النوع الحميم الذي يتمتع به الذين تتقدم بهم الصداقة إلى اتجاهات أعمق، لا شك أنها ستخبره بشيء عن نفسها، لكن إلى أي مدى، هو؟ هل سيحدثها عن نفسه؟ ولأنه يبدي تفوقا وعجرفة متواصلين وجدت أنه من الرجال المتحفظين فيما يتعلق بشؤونهم وحياتهم وعملهم. وماذا يحبون وماذا يكرهون. وتصورت أنه سيعتبر هذه الأمور غير ذات أهمية لأي شخص إلا نفسه، ونتيجة لذلك فإنه سيحفظ بذلك المظهر المهييب الذي يصد كل من يصور له فضوله أنه سيحصل منه على المزيد. ومن الأمثلة على هؤلاء مارجي التي خمنت وندي أنها تنظر إلى غارث بمهابة لم تغامر معها حتى بتوجيه سؤال واحد إليه فيما يتعلق بحياته الخاصة، على العكس من فريزر الذي سألته كل سؤال من الممكن توجيهه. لكن إلى متى يمكنها أن تتردد في سؤاله عن مهنته الحقيقية وسر وجوده على السفينة؟
وبينما كانت مارجي تتخذ مكانها وهي تنقل

نظراتها بدهاء بين غارث ونندي سألت:
"حسنا يا عزيزتي، هل قضيتما يوما رائعا؟ أجل فعلتما، وهكذا فعلنا! والآن انظرا!"
ورفعت يدها اليسرى حيث وضعت في أصبعها خاتما ذا فص من الماس يخطف الأبصار، وقالت وندي وغارث معا:
"تهانينا يا مارجي!"

وكان فريزر قد سبق وهما كلا من مارجي ودينبي عندهما كان في البار معهما، وتنهدت وندي وهي تلمس الخاتم بأصبعها:
"جميل... جميل جدا في الواقع."
"لقد تمت خطوبتنا في معهد صيني، ياله من اختلاف كبير!"
"معهد صيني؟"

"أشتري دينبي الخاتم، ثم بدأ يبحث عن مكان هادئ يمكنه تقديمه الي فيه، وبما أنني لست مراهقة خالصة ترغب في لبس الخاتم وسط رفقة صاخبة فقد اقترحت أن نسرع إلى المعهد حيث يمكنه أن يلبسني إياه."

وقد أثار هذا الضحك، وأصر غارث على الاختفاء بالمناسبة السعيدة وتساءل إذا كان ممكنا أن ينضم دينبي إلى هائدتهم لتناول العشاء، ثم أحضر الحضيف مقعدا إضافيا بعد استئذان المضيفين بينما نهض غارث وذهب يبحث عن دينبي، وبعد ذلك احتفلوا بالخطبة واشترك جميع الموجودين على الموائد المجاورة في المرح معهم.

وبعد بضع ساعات قالت وندي، وهي ترقص مع غارث وكانا قريبين جدا:

"شان هذا اليوم واحداً من أسعد أيام عديدة سعيدة، نعم عشت الأسابيع القليلة الماضية عشتها حقيقة وبصدق!"
أبعدها عنه ورائت أن تقطيع خفيفة ظهرت على حاجبه

والله!
"ليس هناك شيء غريب في لهجتك عندما تقولين ذلك يا وندي؟"

سؤال لافت نفسها عليه بسبب علامة التعجب التي

أثارتها بلا تفكير، وردت بخفة:

"لم أكن أقصد ما قلت".

وسأل بحدة:

"هل أنت مراوغة غامضة؟"

"لا... بالطبع".

وفكرت أنها يبدو أن متزوجين، وهذا يتحدثان بهذا الشكل. إنه ما زال ينظر إليها بصرامة، وعيناه تطوفان وجهها بتعبير حائر في أغوارها الداكنة النفاذة، واضطرت، عندما لم تجد شيئاً آخر تقوله، أن تمضي في حديثها:

"لماذا أكون مراوغة غامضة؟"

"هذا شيء لا يمكنني الرد عليه. انك مراوغة فانت وحدك التي تعرفين لماذا".

وتجمعت في تقطبية، وبدأ كما لو كان مستغرقاً في التفكير فجأة. وارتبكت من غبائها، وتذكرت أنه مرتين خلال معرفتها به داهمها الألم. وفي المرتين أدت ملاحظته السريعة إلى سؤالها، بطريقة آتمة تشبه طريقة رجال الأعمال، عما بها. كأنه أحس بما يزعجها، ووضعها تحت فحص طبي دقيق رغم أنها أكدت له، بلا تردد، ألا شيء هناك وأنها لم تعرف حتى أنها انتفضت.

وبالطبع كان هذا كذبا من جانبها لسبب بسيط هو أنها مصممة على ألا يعرف أحد أنها ستموت... وكما أخبرت نفسها في أول الأمر أن مارجي سيده تؤتمن، رغم ظاهرها الطائش، فإن اليوم قد يأتي عندما تضطر إلى الإفصاح لها بسرها، لكن ذلك اليوم يجب أن يكون قرب النهاية جداً، لأن وندي لا تنوي وليست لديها حاجة إلى الإفصاح بالسر لأحد في الوقت الحالي. كان غارث هو كل حياتها وكانت سعيدة، ونتيجة لذلك كانت متحررة من ذلك الشعور الكئيب الذي علمت، منذ لحظة معرفتها بمصيرها، أنه لا بد أن يخالجها قرب النهاية. وعادت نبرته الهادئة الناعمة تخترق أفكارها:

"وندي... قيم تفكرين؟"

ونظرت إلى أعلى ومذنته إحدى ابتساماتها الجميلة

ثم ردت:

"هناك أوقات يا غارث لا ينبغي للرجل أن يطلب معرفة ما تفكر فيه المرأة".

اتسمت لهجتها بنبرة إغاضة، وقد ومض بريق البهجة في عينيها المتفلسفتين الواسعتين، وتأرجحت عيناه فوق وجهها لكنها رأت من تغير تعبيره أنه يستجيب لحالتها، وما أشعرها بالارتياح، وقال ضاحكاً:

"حسناً. كما تشاءين".

ثم دار بها بخفة ووجدت نفسها مدفوعة برفق نحو الباب. وكان التفسير الذي قدمه لتصرفه هو:

"لو أصررت على النظر إلي هكذا لما كان لك إلا أن تلومي نفسك يا عزيزتي".

«وأبواك؟»

أخبرته بشأنهما، ولاحظت اهتزازة خفيفة لرأسه، ولمحة عطف وأصافت: كنت أود أن يكون لي أخوة وأخوات... هل لديك أنت؟»

«لي أختان وأخ واحد. أبواي أيضا على قيد الحياة وفي صحة جيدة يسعدني أن أقول ذلك...»

والتقط كأسه وأخذ رشقة ثم واصل كلامه:

«أختي الكبرى فيكي، متزوجة ولها طفلان جميلان، وأختي الصغرى خطبت أخيرا وتعمل ممرضة وستتزوج طبيبا...»

«وأخوك؟»

غامت بهذا السؤال وهي تتساءل إذا كان ذلك الحديث سيلقي الضوء على مهنة غارت.

«إنه في التاسعة عشرة فقط، وما زال يدرس في الجامعة...»
ومن دون أن تدرك نبرة اللفظة التي تسلمت إلى صوتها قالت:
«يبدون جميعا عظماء...» إنه نوع الأسرة الذي كنت أود أن أنتهي إليها...»

وابتسم ابتسامة مازكرة ورد قائلا:

«كانت هناك مشاحنات لأسباب تافهة ونحن صغار، وخاصة بين فيكي وبينني، فهناك فارق عام واحد بيننا...»

ورمق وندي من فوق حافة كأسه لحظة طويلة قبل أن يسأل:
«تعيشين وحدك إذن؟»

«كنت...»

وتوقفت وهي تفكر مليا عندما أدركت بصدمة بسيطة ما كانت على وشك أن تكشفه عن أنها باعت البيت والاثاث قبل أن تبدأ الرحلة البحرية.

«كنت؟»

سألتها بنعومة بينما كانت نظرتة المركزة مازالت تدقق في وجهها... وأردف:

«أومع من تعيشين الآن؟»

والشعلت ابتسامة مشوشة وردت قائلة:

«ما قصدت قوله أنني كنت أعيش وحدي حتى اشتركت في هذا الرحلة...»

٨ - يحبها... لا يحبها

ونقلهم الياس في جولة تضمنت زيارة قمة فيكتوريا حيث شاهدوا منظرًا رائعًا للجزيرة، ثم جولة مثيرة في شوارع كادلون التجارية المزدهجة وأنهت بأنزالهم في خليج ريبالس حيث اتخذ كل راكب طريقه المستقل. وقرر غارت ووندي أن يتناولوا الغداء مرة أخرى، في أحد المطاعم المائمة وبعد ذلك اجتذبتهم المحلات التجارية واشترى غارت هدايا تذكارية بديعة وسألها وهو يلقي عليها نظرة حائرة:
«ألا تشتريين أي شيء؟»

فهزت رأسها بالنفي. وبعد ظهر اليوم نفسه قال لها:
«تبهتك إلى أنني أريد أن أعرف المزيد عنك...»

قال ذلك حين جلسا في أحد المقاهي يشربان الليمونادة المتلجة اللذيذة بعد جولة مرهقة في المدينة، وأضاف:
«ألا تحدثينني عن أقاربك؟»

وكان هذا السؤال طبيعيا لأنها لم تشتري أية هدايا تذكارية، وكانت تعلم أنه سيسأل في النهاية فلم تحصل على هدية واحدة تحملها إلى الوطن منذ بداية الرحلة البحرية لكن لماذا يخيب عنها هو أيضا طبيعة عمله وسبب قيامه بهذه الرحلة... قالت:

«ليس لي أقارب...»

«ورأت تقطعية مفاجئة على حاجبيه وسأل:

«على الإطلاق؟»

«لي نسيب على درجة بعيدة من القرابة على ما أعتقد...»

فهمت.

هل لاحظ لحظة اضطرابها؟ اعتقدت أنه لم يلاحظها مما أراحها وسأل:

هل تسكنين شقة؟

والدتي تركت لي منزلاً.

وحسبت أنفاسها واثقة أنه سيوجه مزيداً من الأسئلة لكن في تلك اللحظة سمعا مارجي وخطيبها اللذين جلسا على المقعدين الخاليين المصنوعين من الخيزران.

وقالت مارجي:

أف... الجو حاراً دينبي، أحضر لي شرايباً أرجوك.

وكانت مارجي ودينبي محمليين بالأغراض الثقيلة، فوضعاها على الأرض إلى جوار كرسيهما.

وجاء المضيف الصيني في الحال ثم ذهب لطلب المشروبات، وقال دينبي الذي كان وجهه الممتلئ محمراً وخبلاً بالمرق:

ماذا فعلتما خلال النهار؟

وما لبث أن أضاف سائلاً وندي:

عجيباً: كيف استطعت أن تحافظي على هذا المظهر المسترخي الجميل يا عزيزتي؟

وضحكت وأكدت له أنها، رغم ما يبدو عليها من مظاهر الاسترخاء فهي في الواقع تشمر بالحرارة إلى درجة كبيرة، وقال غارث رداً على سؤال دينبي:

كنا نقوم بجولة في إحدى سيارات الباص وأنتما ماذا كنتما تفعلان؟

وحدث مارجي بنظرة وهو يقول:

نتسوق، وإذا استمر التسوق هكذا سنحتاج إلى شراء نصف دسنة أخرى من حقائب الملابس لنضع فيها كل شيء، تذكروا أنه مازالت أمامنا زيارات لليابان وماواي وكاليفورنيا.

وسحب منديلاً من جيبه ثم بدأ يجفف جبهته، وأكملت مارجي بضحكة شيطانية:

... والمكسيك وباليو وقرطاجة، ثم نعود إلى ميناء أيفرغليدز ثم نيويورك وشيربورغ وساوثهامبتن.

وهينذاك ستكون السفينة مضطرة إلى القاء بعض ثقلها في البحر.

وضحك الجميع، واعترفت مارجي بأن بعض الأشياء التي اشترتها سينتهي بها الأمر إلى أن تصبح عديمة الجدوى.

لقد أنقذ تدخل مارجي ودينبي وندي من أسئلة غارث في الوقت الحالي، لكنها كانت تعلم أنه ينوي معرفة المزيد عنها. هل يمكنها أن تظل متنبهة لأسئلته من دون أن تزجره، وهو أمر لا تفكر فيه على أية حال. يمكنها فقط أن تأمل لو أن المعلومات التي سردها بالفعل كافية لإرضائه. إنها أولاً وقبل كل شيء، لا تعني شيئاً بالنسبة إليه، لذلك فليس من الملائم أن يتابع اهتمامه لمعرفة أكثر مما عرف بالفعل.

وبقيت مارجي ودينبي معهما بقية اليوم، وعادوا جميعاً إلى الباخرة لتناول العشاء. لكن في الأسيمة التالية انضمت وندي وغارث إلى فريزر وصديقه لتناول العشاء، الذي قدم على الطريقة الصينية فوق زورق بخاري طاف بهم في جولة بهيجة حول ميناء هونغ كونغ الساحر. وكانت الأنوار تتلألأ من المينائي وعلى طول الساحل ومن السفن ومن الزوارق الصغيرة والزوارق البخارية وغيرها من السفن التي يمشي فوقها آلاف الصينيين وينامون. أنه الشرق الساحر البهيج المتلألئ المذهل.

وفي اليوم الرابع استقلوا الأوتوبيس المائي الذي نقلهم من الميناء إلى عرض البحر، لأنهم قرروا أن يقوموا بالرحلة التي تستغرق النهار كله في ما كاد ودلتا سي كيانغ حيث علم غارث أنها مكان مثير يرتبط بأشياء مثل تهريب المخدرات وكازينوهات القمار وبعد الفداء اتجهوا إلى المعبد الصيني وعادوا إلى السفينة قبيل الثامنة وبعد ثلاث ساعات كانوا فوق سطح الباخرة البيضاء الضخمة في طريقها إلى اليابان حيث كانت ستصل بعد يومين ونصف. عند ذلك يكون انقضى شهران على إبحار الباخرة، ولا يبقى إلا نحو شهر واحد قبل أن تنتهي الرحلة هل ستري نهاية الرحلة؟ تساءلت وندي. لقد استعدت، بالطبع، لمثل هذا الحدث رغم أنها لم تكن تتوقع، عفاً، أن ترى أبداً سواحل وطنها مرة أخرى. عندها

وقفت، في ذلك اليوم من يناير / كانون الثاني، فوق سطح السفينة، تماما كما تفعل الآن، مع جموع الناس حولها، وشاهدت ميناء السفن في ساوثهامبتن وهو يتضاءل عن بعد حسنا، لو عادت لن تكون لديها مشكلات لأن الدكتور هويتير سهل لها كل شيء.

وأبعدت تلك الأفكار عمدا، وهي مصممة على ألا تسمح لها بأن تنسل إلى ذهنها مرة أخرى، أذ لا فائدة من التفكير في مصيرها، سواء كان الموت سيأتيها وهي فوق سطح السفينة أم في انكلترا.

وسرعان ما اتضح أن غارث فضولي بشأنها، فقد أظهر اهتماما أكثر بها مما يبعث على الراحة، وسأل أسئلة أرغمتها على التهرب من الرد والنتيجة أنه أصبح حائرا إزاء افتقارها إلى الصراحة، وفي بعض المناسبات كان الفتور يسود بينهما، لكنه سرعان ما كان يمر ويصبح عالم وندي كله ورديا من جديد.

وفي أحد الأيام، بينما كانت وندي ومارجي تنتظران جنبا إلى جنب في صالون تصفيف الشعر، بادرت مارجي بالكلام فقالت:

"أنا متأكدة يا عزيزتي أن غارث يحبك، وإذا لم يطلب منك قريبا جدا الزواج به فلن يكون اسمي مارجي ستروميرغ".

وردت وندي:

"أنه لا يحبني. أخبرتك من قبل بما قاله فريزر عن أن أن غارث أعزب بالسليقة".

وبطريقتها المعتادة التي لاتتم عن الاهتمام قالت مارجي:

"لا يبدو عليه القلق من أنه قد لا يحبك إطلاقا - ربما لا تهتمين به كما أتصورك؟"

ماذا تقول ردا على ذلك؟ لم تستطع وندي أن تنفي أنها تحب غارث كما أنها لا تقدر على العكس وتوصلت إلى حل وسط بقولها:

"إن الاعجاب بشخص لا يعني حبه، أعترف بأنني معجبة جدا بغارث لكن أن أكون مجنونة بحبه..."

وهزت كتفها بلامبالاة كما لو كانت تريد أن تعطي

تأثيرا مضاعفا لكلماتها. وقالت مارجي إن هذا أمر موءسف، أنها أصيبت بخيبة أمل شديدة لأنه لن تكون هناك خطبة بين الاثنين وهما في السفينة.

وفي الموانئ التي زارتها السفينة كانا معا طوال الوقت، وكان هناك قدر كبير مثير من مشاهدة المناظر الطبيعية. وعندما رست السفينة في كوبي صعدا إلى جبل روكو للقاء نظرة على المدينة من فوق، وشاهدوا المعابد وتماثيل بوذا والأماكن المقدسة والمعالم البارزة الأخرى، وفي بوكوهاما حضرا حفل عشاء يطلق عليه اسم سوكيانكي، حيث قامت فرق الفرقة الراقصة الغيشا بتسليّة الجمهور وهم يرتدين رداء الكيمونو الملون وقدمن عرضا رقيقا بمراوحن الصلبة ذات الألوان البراقّة.

طول الوقت لم يفترقا، ومع ذلك لم تلدس وندي أن غارث ينظر إليها على أنها أكثر من رفيقة لطيفة يستمتع معها بالمباهج التي توفرها الرحلة البحرية، وبعد تلك المعلومات فيها يتعلق بأسرتها لم يذكر إطلاقا أي شيء عن حياتها الخاصة، وخيل إليها أن هذا يرجع إلى تحفظها فيما يتعلق بشؤونها الخاصة، مع ذلك كان فضوليا، أحست بفضوله فيما يتعلق بوجودها في الرحلة، لكنه لم يسألها عن ذلك، وهكذا هزت الأيام سريعة للغاية.

والآن لم يهد باقيا إلا أسبوعان.

"إنني أتطلع بشوق لمشاهدة هونولولو".

أخبرته بذلك في اليوم السابق لوصول السفينة إلى الميناء،

فأجابته تخشى ألا تبقى على قيد الحياة حتى تراها، لأن نوبات السداع أصبحت أقسى وأكثر حدوثا، واكتشفت أن الصوب التي معها لم تعد مؤثرة الآن كما كانت في البداية وسلمت بأن النهاية ستأتي في أي وقت.

"كذلك أنا".

قال غارث، والتقت عيناه بعينيّه، كم كانت نبرة صوته رقيقة وغامضة.

"أجل يا عزيزتي وندي، إنني أتطلع بترقب شديد إلى تلك الزيارة سأصطحبك إلى هاواي".

"الى؟ لكنني لم أحجز تذكرة يا غارث، أعتقد أنني ذكرت هذا لك".

"بل حجزت".

وابتسم لها وتحول قلبها الى بهلوان يقفز، فكم ستكون حياتها مدهشة لو أمكن لها أن تصبح زوجته.

وحملت فيه، ثم احمر وجهها خجلا لأنه دفع كل هذه الأموال من أجلها.

"هل حجزت للرحلة الجوية؟"

وأومأ بالإيجاب، وكان وجهه خاليا من أي تعبير، وأخست بأنه يخطط لشيء وسألت:

"لماذا تفعل هذا؟"

ورفع حاجبيه قليلا وهو يقول:

"لماذا؟"

وتوقفت لحظة:

"يخالجني شعور مضحك..."

اعترفت بذلك وقد أفلتت منها ضحكة خفرة وهي تلاحظ أنه يبدي بعض البهجة الآن:

"أشعر بأنك... بأنك تخطط لشيء ما..."

وضحكت عيناها وحبت أنفاسها فكم يبدو جذابا وهو ينظر إليها هكذا..."

"ليست مؤامرة يا عزيزتي..."

ورفع يده بغطرسة عندما رآها تفتح فمها لتقاطعه.

"دعينا ننتظر لنرى..."

"ننتظر لنرى؟... هاتان الكلمتان لهما مغزى... إنها لا تشك في ذلك لكنها لا تعرف لهما معنى حتى في أوسع أحلامها..."

وهكذا لم يكن باستطاعتها إلا أن تلهث وتحدق فيه غير مصدقة عندما علمت بنيتها أخيرا.

طارا الى جزيرة كايواي - أو الجزيرة الخضراء كما تدعى لأنها أكثر جزر هاواي خضرة، وأبحرا بالزورق البخاري الى

كهف فيرن غروتو أو كهف الرخس البديع وهو كهف ابدعته الطبيعة وسط منطقة استوائية شديدة الخضرة تتدلى عليها

نباتات الرخس.

وهنا في مكان هادي، طلب منها غارث أن تتزوج، وقال بلهجة مفعمة بالمشاعر الرقيقة:

"إنني أحبك يا وندي، في البداية حاولت ألا أفعل ذلك عندما اعتقدت أنك لئيم ما فارو، كما لم تكن لدي أية رغبة في الزواج..."

وهنا توقف عن الكلام، وابتسم لها ثم حضى يقول:

"لكنني تعلمت كيف أحبك رغم كل هذه الأشياء، ومع ذلك كنت أقاوم، وأقاوم شيئا أصبح بسرعة أقوى مني، أوقعتني في أسر سحر كايوندي، لذلك يمكنك أن تتصورني مدى راحتي عندما اكتشفت أنك لست لئيمز ما فارو..."

وتوقف لحظة ثم قال:

"كل هذا أصبح ماضيا الآن يا عزيزتي، والمستقبل وحده هو الذي يهمنا..."

"المستقبل؟ أسبوعان..."

وقفزت الى شفتيها ضحكة هستيرية لكنها كبحت جماحها... أسبوعان، أو ربما ثلاثة... أربعة على أكثر تقدير وأخذ قلبها يدق بعنف، وكل عصب في جسدها يرتجف..."

أصبحت أحاسيسها مضطربة للغاية، إنها تتساءل الآن لماذا لم تتوقع هذا؟ كانت عيناها تنطقان برقعة متفاعية

أحيانا، وكثيرا ما اتسم صوته بالحنان، ومع ذلك لم تقطن، معتقدة أن هذا الموقف الخاص اتخذ له سبب واحد فقط، أنه

يستطيع الاستمتاع الى أقصى حد بكل ذرة سعادة من هذه العلاقة فوق سطح السفينة... كم كانت عيناها واشتد غضبها من

بعضها داخل أعماقها، غضبها من أنها فعلت الشيء الذي

كانت ترغب، بلا جدوى، في ألا تفعله: تركته يقع في حبها..."

لقد أنقذت شو لكن غارث، الذي أحبته بهذا العمق، أذته، لا... حتى في هذه المرحلة المتأخرة يمكنها أن تفعل شيئا،

يمكنها أن تعامله معاملة سيئة وتتحدث بطريقة ساخرة عن

أفكاره بأنها ستقبل عرضه بالزواج، لن تترك حبه يتزعزع، سادته وتطاهه، وتقتله.

إن هذا سيؤذي موعقتا، ولا شك في أنه سينال من

شرايته لكنه سينجو من ضرر دائم، وفجأة تراءى لها أنها

تموت سيدرك حينئذ السبب في معاملتها إياه بعد أربعة أيام عندما ترسو في كاليفورنيا، أجل كان هذا هو الرد، يمكنها أن تبرق إلى الدكتور هويتير لتبلغه بأنها عائدة إلى الوطن في وقت مبكر قليلا عن المتوقع، وحينئذ سيعد كل شيء لدخولها إلى دار التمريض، هل سيكون لديها المال الكافي لمصاريف عودتها؟ قدرت أنه سيكون معها فقط المبلغ الكافي لذلك.

"وندي عزيزتي، أين أنت؟ إن عرضي، بالتأكيد، لم يكن مفاجأة تامة لك، لا بد أنك أدركت أنني كنت أزداد اهتماما بك؟"

وبدا أنه منزع قليلا، وصرخ قلبها مما توشك أن تفعله. ونظرت إلى وجهه، ولخوفها من أن تخونها شجاعتها تكلمت بسرعة، وهي تضي على صوتها رنة ازدراء:

"أتزوجك؟ ما الذي أوحى إليك بأنني سأفكر في ذلك؟ أولا أنني لا أحبك ثم إنك لست النوع الذي يناسبني على الإطلاق عندما أختار زوجا لي... هذا كل ما في الأمر."

وافتعلت تعبيرا بالدهشة لأنه اعتبر مسألة اهتمامها به من المسلمات وأضافت:

"أنا لم أظهر أية بادرة تشير إلى أنني أكن لك أية مشاعر غير الصداقة... على الأقل هذا ما أذكره."

الخيبة وعدم التصديق والألم تجمعت كلها في تعبيره وهو ينظر إليها. وكانا يقفان في الكهف وقد تدلت فوق رأسيهما نباتات الرخس اللينة الرقيقة. كان منظرهما رقيقا رومانيا... وبشجاعة أمسكت دموعها التي تجمعت في سحابة رقيقة خلف عينيها، لكنها اضطرت أن تشيح بسرعة حتى يمكنها ذلك.

"ألا تحبينني؟"

وكان صوته مكتوما، وأدركت أنه يجد صعوبة في مجرد النطق بالكلمات

"يمكنك أن تقولني بكل أمانة، أنك لا تحبينني؟"

وهز رأسه كما لو كان يريد أن يبعد الآثار المدمرة لكابوس مزعج.

"بالتأكيد يمكنني!"

وتعجبت، كيف كان صوتها يمثل هذا الثبات.

"أجل، بالتأكيد، غارث، لقد أفسدت كل شيء..."

وصرخت بغضب:

"كانت الأمور لطيفة... غزل السفينة الذي اعتقدت أن كليتا ينعم به، لماذا تفسده بالواقع في حبي؟"

وأخذ شريان في رقبتة ينبض بشدة عندما تدفق الدم فيه وعلى جانبي فمه ظهرت تجاعيد صغيرة ذاكنة وسط اللون البرونزي الجذاب.

"غزل..."

وأصبحت عيناه الداكنتان ياردتين الآن، وهما تلمعان مثل قطعتين من الصلب تم شحذهما حديثا.

"إذن كان الأمر بالنسبة إليك هكذا؟"

وابتلعت ريقها يتشنج، وهي تحاول أن تزيح ألعا فظيحا انتاب حلقها، وبدأ رأسها يؤلمها إلى حد ما أيضا، لكنه كان ألعا فائرا بدون تقلصات، يمكنها أن تتحمله.

"هذا ما قلت..."

ألقت هذه العبارة وهي تتعجب من تماسكها الظاهري، حين كان قلبها في الداخل يتفتت، وهمست لنفسها وكل عقلها وجسدها بعانيان من ألم مبرح: عزيزي غارث... لم تنق في حياتي إلا بضعة أسابيع على الأكثر، ويمكن أن تكون بضعة أيام فقط... لماذا أحبتني وتريد أن تتزوجني؟

ثم قالت بصوت عال:

"أنت أفسدت كل شيء كان يمكننا أن نمضي معا فترة أطول، ستمتع فيها برفقة بعضنا البعض لكن الآن..."

وسمحت لصوتها بأن يخفك وخفضت رأسها وهي غير قادرة على تحمل التعبير الفظيع في عينيها. وقال أخيرا في قوة:

"يبدو أنني اعتبرت أشياء أكثر من اللازم أمرا مسلما به..."

"فعلت ذلك في الواقع!"

"الغفري لي وأنسي الموضوع..."

ووقفت لحظة صامتا وتلفت حوله في الكهف الخلاب. المكان

الجميل الذي اصطحبها إليه ليعرض عليها الزواج، وتداعى قلبها وبذلت جهدا خارقا في منع نفسها من أخباره بالحقيقة، لأنها امتنعت وهي مقتنعة بأنها الوسيلة الوحيدة لإنقاذه

من الألم . يجب أن يفقد حبه لها بسرعة، وهناك وسيلة وحيدة لذلك، هي أن تعامله ببرودة، وتخبره بأنها لا ترغب في أن تستمر الصداقة بينهما .

٩ - بداية النهاية

وفي الأمسية التالية جلست وندي في البار مع مارجي ودينبي، وراقبت غارث يرقص مع نيكول - فبعدها تلقى ضربة مدمرة لكبريائه برفض وندي عرضه الزواج منها، ومعاملتها له بعدئذ، بدأ الآن يخفف ألمه بالانغماس في التقرب من فتاة ألقت بنفسها عليه منذ البداية . والواضح أن نيكول من ناحيتها تشعر بالانتصار، فإن تعبيراً خبيثاً يخيم على وجهها كل مرة تلتقي فيها عيناها بعيني وندي . كم هو قليل ذلك الذي تعرفه هذه الفتاة ! أنها تكاد لا تدرك أن غارث يستغلها ويحاول أن يعوض بعض السلوى برفقتها .

أما نسبة إلى غارث فإنه لا ينظر إلى وندي إطلاقاً إلا عندما يضطر إلى ذلك حول المائدة، وأصبحت مارجي باحباط حتى أنها كانت على وشك البكاء عندما سألت وندي عن الأمر، وحاولت بطريقتها الفجة أن تفود الاثنين إلى استئناف الحديث .

"الشراب جيد بصفة خاصة هذه الليلة، ألا تعتقد ذلك يا غارث؟ وأنت يا وندي، أليس كذلك؟"

وأوما كلاهما بالموافقة، بدون كلام، وحاولت مارجي مرة أخرى أثناء الغداء في اليوم التالي، وتحدثت وندي إليها فيما بعد بهذا الشأن وأخبرتها بأنها هي وغارث تشاجرا، ولا مجال للصلح بينهما .

"لكن يا عزيزتي"، أما واثقة أنه يمكن إصلاح الأمر،

كنتم في منتهى السعادة *.

ونظرت بعينيها اللامعتين الى عيني وندي، وضمت تقول:
"هناك شيء ما تخفيته، أليس كذلك يا وندي؟"

واعترفت وندي وقد ابيض وجهها وهي تشعر بألم جرح في رأسها، وبعد فترة تردد قصيرة، اعترفت بأن هناك شيئاً لا تريد أن تتحدث بشأنه وأضافت:

"ولكن أرجوك لا تسأليني عنه يا مارجي، انه شيء لا يمكنني مناقشته، ليس في هذا الوقت على أية حال *."

ونظرت اليها مارجي، وفجأة فاضت عيناها بالشفقة وأكدت، متجاهلة توسلات وندي:

"يبدو إنك واجهت مأساة كبرى في حياتك، أدركت ذلك وتذكرت تلك النظرة الهائمة في عينيك، ألم تقولي انك ستذكرين أنني وضعت نفسي في تصرفك *."

سؤال، أدركت وندي - واثقة - أن اصرار مارجي هذه المرة ليس من قبيل الفضول، فهي في هذه اللحظة ليست الشخصية الفضولية الثائرة التي تعودت أن تراها، لكنها كانت مخلصه مستعدة لتقديم المساعدة، واعترفت وندي، بعدما ترددت فترة طويلة، بأنها ستشعر بارتياح كبير لو تحدثت مع مارجي وطلبت منها أن تكون مستعدة لو حدث شيء، لكن لحظة التردد مرت سريعاً، وهزت رأسها، وعادت تقول:

"لا تسأليني عن الأمر، لا أستطيع أن أتحدث بشأنه في الوقت الحالي *."

ولم تدرك أن التغيير المؤلم ظهر مرة أخرى في عينيها الجميلتين، وبدأت تشعر بالدوار نتيجة الألم في رأسها وأصبحت ترى الأشياء القريبة منها كما لو كانت تسبح في الظلام، هل هذه هي النهاية؟ لا، يجب ألا تلقى حتفها فوق السفينة، لو أنها تركت السفينة في كاليفورنيا من دون أن تخبر أحداً إلا مراجع الأوراق والحسابات، فان غارث لن يعرف أبداً لماذا رحلت * ولن يعلم أبداً بموتها، ما الذي ستخبر به موظف الحسابات؟ ستقول ان لها أقارب في

كاليفورنيا، وترغب في البقاء عندهم فترة من الوقت، أجل، هذا سبب معقول، لكن ينبغي أن تتخلف عندها تخرج مارجي ودينبي لزيارة معالم المدينة، وسيكون هذا صعباً لأن مارجي مصدمة على أن ترافقها، إذ قالت:

"لأنه لا يصح أن تكوني وحدك يا عزيزتي *."

حسناً، مازال هناك يومان باقيان، وأحببت وندي بأنها واثقة من قدرتها على التغلّب بعذر مقبول لعدم مرافقتها مارجي وخطيبها الى بيركلي هيلز وهوليوود يوم رسو السفينة. كان المقرر أن تبحر السفينة في السابعة من الأمسية نفسها وعندما يحين موعد العشاء لن تكون موجودة *.

سينتظرون بعض الوقت قبل بدء الطعام، ثم تسأل مارجي - أو ربما فريزر - المضيف إذا كانت الانسة براون مريضة ومعتكفة في غرفتها، ولأنه يكون علم مسبقاً بأنها تركت السفينة، سينقل هذا النبا اليهم، ستصاب مارجي بألم بالغ، لكن فريزر لن يفكر كثيراً في وندي لأنها رحلت بلا كلمة - ماذا عن مشاعر غارث؟ رأت وندي أنه سيكون فرحاً لأنه لن يواجهها على المائدة بعد الآن، فرحاً لأن الموضوع اختفى من حياته الى الأبد - وقطع صوت مارجي عليها أفكارها حين سألت:

"هل أنت بخير يا عزيزتي؟"

والتفتت، وأرغمت شفقتها على ابتسامة لكنهما سرعان ما تجمداً لأن الألم في رأسها أخذ يتزايد الآن وأصبح يذق بجنون يؤثر على ثبات نظرها، واجابت وهي تفهض من مقدمها:

"أشعر بصداغ خفيف، أود أن أستلقي برهة *."

"صداغ؟ مهى العلاج المناسب يا عزيزتي *."

ومن دون لحظة تردد فتحت مارجي حقيبة يدها وسحبت راحة صغيرة وهي تقول:

"انه دواء مذهش سأستدعي المضيف ليحضرك لك كوباً من الماء *."

"لا، شكراً لك يا مارجي، لكن ينبغي ألا أتعاطى هذه الحبوب، أعني لدي حبوب أخرى في غرفتي *."

"لا يمكن أن تكون مفيدة هذا انها تشفى الصداع في ثوان،
أيها المضيف تعال".
"مارجي أرجوك".

ووقفت وندي وهي تشعر بأنها قد تنهار في أية لحظة
الآن، وشعرت لأول مرة بالغضب من السيدة الأميركية وقالت:
"أفضل أن أعاطي حيوي الخاصة".
"هل ستفعلين؟"

وتدلى وجه مارجي الجميل. وتعتنت وندي لو عالجت الموقف
بحذر أكبر، لكن الألم كان يعصف بها، وأصبحت رغبته
الملحة الوحيدة أن تذهب الى غرفتها وتلقي برأسها على
الموسادة ونعمت:
"انني أسفة".

ومن دون أن تنطق كلمة أخرى استدارت وابتعدت.
وحالما دخلت غرفتها لم تستغرق وقتا بل تناولت الحبوب
فورا، يجب أن تعيش يومين آخرين على الأقل، يجب... لا
شيء في حياتها كلها كان عاجلا بحيث هذه الرغبة في أن
تترك السفينة وهي حية! ينبغي أن تنفذ غارث بأي ثمن ولو
أنها في قرارة نفسها كانت مستعدة لأن تفارق الحياة الآن،
لأن الحياة لم يعد لها معنى بعدما افترقت عن غارث.
ولأنها كانت مرهقة من الألم استلقت فترة طويلة تحاول ألا
تفكر في ما كان يمكن أن يحدث لو لم تكن في هذه الحالة.
غارث يحبها ويريد لها زوجة... وقطعت أفكارها وحاولت أن
تنام، لكنها لم تستطع كبح إلحاح الأفكار في ذهنها. ورات
نفسها عروسا مشرقة في ثوب الزفاف الأبيض تحف بها
شقيقتا غارث، وشقيقه يقوم بدور إثنين العريس، انها جزء
من أسرة يحبها أفرادها، ويرحب بها والدا زوجها اللذان
أصبحا والديها هي من الآن فصاعدا... الى أي مدى يمكن أن
تكون الحياة سعيدة...
"لكنني عشت...".

وبخت نفسها عندما فرت دموع النياس من عينيها وأخذت
تندفق فوق وجنتيها البيضاءين.
"عشت منذ اللحظة التي أصبح فيها غارث مهتما بي".

حقا كانت الأسابيع الأولى مؤلمة قليلا، عندما تجفل في
مواجهة سخريته وازدراؤه وكبريائه، كان واقعا تحت سوء
فهم معتقدا أنها ليست سوى لينيز هافارو الشهيرة بسوء
السمعة، لا عجب أنه حاول الابتعاد عنها لكنه وقع تحت
سيطرتها وأخبرها بذلك حين كانا معا في الكهف. هل حدث
هذا منذ يومين ونصف فقط؟ يبدو كأنما مرت أشهر عدة منذ
افترقا، منذ قال وداعا بتلك اللهجة المقاطعة فوق سطح
السفينة بعد لحظات من صعودها إليها اثر عودتهما من
هاواي، فقد اتخذ موقفا صارما ونظر إليها لحظة صحت
اتسمت بالبرود قبل أن يردد وداعه الأخير... الأخير...
أجل... كان الأخير! وانسحب مبتعدا وهي واقفة هناك
تتسارع دقات قلبها الى حد أنها، في غمرة ياسها الفظيع،
كانت ستحرب بالنهاية لو أنت حينذاك.

وأخيرا ناحت، لكنها فور استيقاظها استحوذت عليها
أفكارها مرة أخرى. أجل، تلك الأسابيع الأولى كانت مؤلمة
الى حد ما، ومع ذلك كانت راضية بالموقف قائعة بأن غارث
لم يكن يحبها رغم أنها بدأت تحبه، ولكن بعدما علم بأنها
ليست لينيز هافارو تغير موقفه تماما إزاءها. صار الحبيب
الكامل، الحبيب اللطيف الرقيق الذي اعتزم أن يجعلها زوجة
له.

ونفضت من الفراش، وهي مصممة على عدم البكاء مرة
أخرى، واغتسلت وغيرت ملابسها واستخدمت بعض المساحيق
في تلوين خديها وشفتيها، ومشطت شعرها بقوة، ثم غادرت
غرفتها لتتجه الى غرفة الملكة حيث كانت تعرف أنها ستجد
مارجي ودينبي، وقد رحبت برفتكما، فابتسامتهما بلسم
لأساهما. ودققت مارجي النظر في وجهها باهتمام بالغ بعدما
سألتها اذا كان الصداع قد زال، وقالت بلهجة اتهام:
"وضعت بعض المساحيق على وجهك، هل أنت مريضة؟"

وابتسمت وندي، لا شك في أن هناك شيئا في مارجي
ستروميرغ المهرجة الفضولية يحجب الناس فيها...
"لا، ليست مريضة، ومع ذلك وضعت بعض المساحيق

على وجهي لأنني لاحظت أنني شاحبة . الصداغ يجعل المرء شاحبا ، اليس كذلك ؟

"لم يجعلني شاحبة أبدا ، ليس الى الحد الذي ألاحظه ، وعلى كل فيما ذهبت تشعرين بأنك على ما يرام ، فهذا ما يهم ما هو ذا المضيف فاطلي ما تشاءين ، هذه الشطائر لذيذة ، والفطائر أيضا رائعة ، ينبغي أن نطلب طريقة صنع بعضها ، ألا تعتقدين ذلك ؟ أو ربما لا تقومين كثيرا بصنع المأكولات بنفسك ؟

"كنت أفعل ذلك . . . ولكن . . .

وتلاشى صوتها الى حد الصمت عندما تلاقت عيناها بعيني غارث وهو يصر ، وقد سارت نيكول الى جواره ، وتحركت شفتا وندي في حركات متشنجة . وتحولت عينا نيكول الذاكنتان المزهوتان فوق وجهها بينما تحركت شفتاها أيضا بسخريّة ، لكن وندي التفتت بسرعة الى الناحية الأخرى ، وهي تشعر بالقضب لأنها - بارتعاشة شفتيها - كشفت أنها متألّمة لوجود غارث مع فتاة أخرى ، واستطاعت مارجي أن تلمس ، بسرعة ، الى أي مدى تألمت وندي لكنها واصلت الحديث السابق قائلة : "لم تعودني تفعلين ذلك ؟ أتوقع ، على أي حال ، أنك سوف تقومين بشراء الحلوى اللذيذة " .

وشعرت وندي ، بالاهتان لها ، وابتسمت في وجهها وشكرتها بعينيها ، وقالت وهي تلاحظ أن دينبي ينقل بصره من إحداهما الى الأخرى في حيرة :

"من السهل ، هذه الأيام ، شراء فطائر لذيذة " .

وتساءل دينبي بخشونة :

"ما هذا ؟ من يريد أن يتكلم عن الفطائر ؟

وبالكاد سمعته وندي ، لأن عينيها كانتا تتابعان ظهر غارث المعتدل العريض وهو يسير بترفع نحو طاولة يقف بجوارها أحد المضيفين على استعداد لتلبية الطلّيات . وجلست نيكول أولا ثم جذب غارث كرسيه . وجلس ، وطلب الشاي ، وكادت وندي تبكي وهي تتذكر المرات الهادئة الودية التي تناولا فيها الشاي في هذه الغرفة الجميلة ، ويبدو أنه شعر بأن نظراتها مركزة على نفسه لأنه

اختلس النظر تجاهها ، وأدارت نيكول رأسها متتبعة اتجاه نظرتة ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة ، وتحدثت الى غارث وابتسم لها ، ثم أدار مقعده بحيث صار ظهره ناحية وندي .

وابتلعت الفصّة التي أصابت خلقها وأحسّت بأنها فقدت شهيتها ، لكن ينبغي أن تأكل شيئا لأن مارجي كانت ستعلق لا محالة لو قالت ، فجأة ، أنها ليست جائعة .

وعندما كانت مارجي ووندي ودينبي في الملهى الليلي في ساعة متأخرة من تلك الأمسية ، ينظرون الى حلبة الرقص ، قال دينبي :

"لم يبق إلا أسبوعان فقط ، كم مر الوقت سريعا ! عندما فكرت في البداية كيف أقضي ثلاثة أشهر فوق سطح السفينة كنت أشعر أنني سأمل البحر قبل نهاية الفترة بوقت طويل " .

وابتسمت مارجي ابتسامة عريضة وهي تقول :

"ولكن حينئذ لم تكن تعرف أنك ستقابلني !

وضحك ونظر اليها بحنان وقال :

"أتمنى لو تزوجنا فوق السفينة " .

"ليست ممنا الوثائق المطلوبة يا عزيزي " .

"سنزوّج فور وصولنا الى الوطن " .

وشعرت وندي بأن عليها أن تبدي بعض الاهتمام بحديثهما فسألت :

"متى تعودان الى الولايات المتحدة ؟

"وقال دينبي وهو ويتناول بعض الفطائر :

"سنعود بعد شهر تقريبا ، ننوي القيام بجولة في انكلترا أولا " .

وتمهل برهة ثم قال :

"ما هي مشروعاتك يا وندي ؟ هل لديك شيء خاص ؟

وهزت رأسها وقالت أنها ليست لديها أية خطط خاصة ، وقالت مارجي :

"نود أن تزورينا " .

والتفتت وندي وقد بهتت من هذه الدعوة غير المتوقعة ، وأضافت مارجي :

"سنتقيم في تكساس، لأن دينبي له طفلان هناك وله بيت، فيه مستأجرون في الوقت الحالي، لكنهم سيرحلون عندما يعلمون أن دينبي يريد استعادته، هل ستأتين إلينا يا وندي؟ ماذا ينبغي أن نقوله؟ أسهل طريقة أن تقول: نعم، فهذا هو الرد الذي سيفرح الاثنين، لكن ما الذي سيعتقد أنه عندما تختفي في كاليفورنيا؟ وردت بنعومة: "انكما تخجلان تواضعي بدعوتكما، لكنني أخشى ألا يكون لدي الوقت ولا المال لرحلة مثل هذه". وفكرت أنه لا أكاذيب في هذا القول، فتلك هي الحقيقة التي لا سبيل لإنكارها، ليس لديها الوقت ولا المال لذلك. "يا للخسارة!"

قالت مارجي ذلك وأخذت عيناها الفاخستان تستقران على وجه وندي، ثم أضافت: "ينبغي أن نظل على اتصال يا عزيزتي، وأعتقد أن الوقت حان لتبادل العناوين، اليس كذلك؟ سنتراسل، وعندما يتوفر لديك الوقت والمال ينبغي أن تأتي لزيارتنا. من المحتمل أن نكون في انكلترا قرب نهاية العام القادم، هل يمكننا البقاء معك فترة من الوقت؟ أعرف أنك بعث بيتا، لكنك ما زلت، بالطبع، تملكين واحدا للأقامة فيه". والتفطنت مفكرة صغيرة وقلما من حقيقة يدها ونظرت إلى دينبي قائلة:

"اكتب أنت عنواننا لوندي، لا أعرفه بعد، أجل أخبرتني به لكنني نسيت".

وحولت اهتمامها إلى وندي تنتظر منها أن تذكر عنوانها. وبللت وندي شفيتها وهي تبحث بعنف في ذهنها عن وسيلة تخرج بها من هذا المأزق، وأملت عنوان دكتور هوبتيكر، وهي موفقة بأن هذا أفضل شيء يمكنها أن تفعله، فعندما يتلقى رسالة من مارجي سيرد عليها ويخبرها بما حدث.

★ ★ ★

وفي الصباح التالي ذهبت وندي إلى مائدة الإفطار مبكرة بشكل خاص وهي لا تتوقع أن ترى أحدا ممن تعرفهم، لكن لدهشتها كانت مارجي جالسة أمام المائدة تشرشر مع الخضيف الذي غادر المكان حالما رأى وندي تقترب. وما كادت تجلس حتى بدأت مارجي تتكلم: "لن يمكنك تخمين ما اكتشفته يا وندي! لقد استيقظت منذ فترة طويلة...".

"منذ فترة طويلة؟ لماذا؟"

"كنت أتجول في أنحاء السفينة، فقد أردت أن أعرف ماذا هي الجانب الآخر من ذلك الباب التالي لكتب موظف الحسابات". وتوقفت عن الكلام لحظة، وانتظرت حتى مر أحد الأشخاص من جانب المائدة ثم قالت:

"لا أريد أن يسمعي أحد، إنها مؤامرة من جانبي منذ البداية".

"لكن لماذا يا مارجي؟"

"وددت أن ألقى نظرة خلف ذلك الباب...".

"لكنه مكتوب عليه كلمة 'خاص'، لم تدخلي... هل فعلت؟"

"خاص؟ انك تعرفيني يا عزيزتي... ينبغي أن أغوص في أعماق أي شيء يحيرني، وقد لا أنجح دائما لكنني دائما أحاول".

واضطرت وندي إلى الضحك رغم تعاستها وطلبت من مارجي أن تستمر فقالت:

"قدرت أن ليس هناك أحد في تلك الساعة من الصباح، دفعت الباب فأنفتح، أجل، فلم يكن مغلقاً بالمفتاح وتسللت إلى الداخل، هناك ممر بأبواب على الجانبين... أخزري ماذا؟ إحدى الغرف هناك هي غرفة القبطان الخاصة الصغيرة، ليست مقره الرسمي الذي يعرفه الجميع، لكنها غرفة صغيرة يمكنه أن يذهب إليها وهو واثق أن أحدا لن يزعجه".

وقالت وندي بفضول:

"كيف عرفت أنها غرفة القبطان الخاصة؟"

"لأنني شجعت رائحة القهوة اللذيذة فقررت أن أختلس نظرة خلال فتحة الباب، وهناك كان القبطان يجلس".

"وماذا في ذلك؟"

"كنت على وشك العودة عندما سمعت صوته وأدركت أنه لابد أن يكون برفقة شخص ما."

وتوقفت بحركة مسرحية، وتجهمت وندي في حيرة وهي تنتظر أن تواصل كلامها:

"أعرف أنك تفكرين أنه ليس هناك شيء غريب أن يكون مع القبطان شخص ما لتناول قهوة الصباح الباكر؟"

"أجل، هذا ما كنت أفكر فيه بالضبط."

"انتظري حتى تعرفي ضيفه، أليس أي فكرة من يكون؟"

"لا، ليست لدي أية فكرة على الإطلاق، وأنا في غاية الفضول لأعرف."

"انك تسخرين مني."

ثم ضحكت مارجي وقالت في هدوء وهي تضغط على كل كلمة:

"صديقنا غارث ريفرزا"

واشاحت وندي بوجهها ورددت:

"غارث؟ غارث كان مع القبطان؟"

"مع القبطان! ألم أخبرك منذ البداية بأن غارث شخصية هامة؟ ماذا لديك لتقوليه في هذا؟"

"لا أرى أنك برهنت على رأيك، هل كون غارث يحتسي القهوة مع القبطان يعد برهانا على أنه شخص هام؟"

"هل ندعى نحن إلى غرفة القبطان؟"

"لا... لكن..."

"ولا تسعة وتسعون وتسعة أعشار في المائة من الركاب الآخرين فوق هذه السفينة، أقول لك أن غارث شخص هام!"

"ربما يكون صديقا للقبطان، لكن هذا لا يجعله ألياً رجلاً ذا أهمية."

"لو كان صديقا للقبطان لعرفنا بذلك قبل الآن."

وكانت وندي تميل إلى الموافقة على هذه العبارة لأنه ببساطة، لو كان غارث صديقا للقبطان لدعي لتناول العشاء

على مائدته قبل الآن بفترة طويلة كما دعيت شخصيات أخرى."

"مازلت لا أرى كيف يمكنك أن تستنتجي أن غارث شخصية هامة."

قالت وندي ذلك رغم أنها بدأت تعتقد بينها وبين نفسها أنه كذلك.

وردت وندي في جدية:

"أي شخص عادي في سفينة بهذه الحجم لا يقوم بزيارة غير متوقعة للقبطان ليتناول قهوة الصباح الباكر."

"لا أرى أنه قام بهذه الزيارة من دون توقع، ليس في مثل تلك الساعة المبكرة، لابد أنه دعي."

"وهكذا إذا لم يكن صديقا للقبطان، ومع ذلك دعي لتناول القهوة فهذا يبرهن على أنه شخص هام، لا يا عزيزتي، لا

تقاطعيني بعد، لأن فكرة خطرت ببالي هذه اللحظة: القبطان سجع للتو بأن غارث شخص هام إنني أتعجب فقط من يكون

غارث؟ ألن يكون مثيرا لو أنه شخصية ذات اسم كبير كدوق حقيقي... أو دوق مليونير!"

وهزت وندي رأسها وقالت بتأكيد:

"ليس دوقا."

"لا يمكن أن تكوني متأكدة من ذلك. لماذا: ينبغي أن تعترفي بأن أساليبه أرستقراطية للغاية."

"نسيت - فيما يبدو - ما قاله فريزر عنه، وهو أنه مرهق بالفعل منذ ستين."

"نعم... نسيت ذلك يا عزيزتي."

وضمت مارجي شفيتها وأضافت، بعد فترة صمت قصيرة:

"كان ينبغي لي أن أتذكر هذا، أليس كذلك؟ خاصة أنه كان بطرا على بالي دائما عندما أشعر بالحيرة إزاء غارث."

وأضافت بغموض وكأنها تناقش نفسها:

"لذن رأيي أن غارث مدير أعمال كبير أو شيء من هذا القبيل... ولكنه في هذه الحالة لا يكون شهيرا."

"هذه فكرتك فقط أنه شهير."

وتجهمت مارجي قائلة:

"إنه يخيط نفسه بجو من العظمة."

واضطرت وندي للضحك من هذه العبارة، لكن

مارجي استمرت:

"هذا ليس أمرا مضحكا! أكره أن أكون عاجزة عن اكتشاف الأمور".

ومرت بالقرب من المائدة امرأة زرية الثياب في نحو الخمسين من عمرها، وحالما ابتعدت تحيرت مارجي الموضوع وأخبرت وندي بأن هذه المرأة اشتركت في الرحلة لأنها ربحت أكثر من خمسين ألف جنيه من المراهبات على نتائج مباريات كرة القدم وأضافت في أشمئزاز:

"إنها امرأة وضيعة، أرملة مستعدة لتعاطي الخمر حتى تلقى حتفها مبكرا أنها جريمة أن يكسب أناس مثلها أموالا طائلة كذلك".

وكان غارث يقترب، ولم تقل الاثنتان شيئا أكثر من ذلك، لكن كانت مارجي خلال الإفطار تختلس إليه نظرات خفيفة، وأخيرا قال، وقد اكتسب صوته بنبرة خشنة:

"ما الغريب في يا مارجي؟ هل تركت جزءا من صابون الحلاقة على طرف أنفي أو شيئا من هذا القبيل؟"

وأحمر وجه مارجي خجلا وقالت:

"هذا ليس لطيفا منك يا غارث، كنت فقط أنظر إليك".

"لماذا؟"

"إنك كثير التدقيق، هامو ذا فريزر قد حضر! صباح الخير يا فريزر، هل نمت جيدا؟"

"جيدا جدا، كالمعتاد، ضحيري مستريح وهذا كل ما في الأمر كما تعرفين".

وجلس ثم نفخ فوطته وفردها فوق ركبته، وأمسك بقائمة الطعام، كريب فروت - كورن فليكس، لحم وبيض، سجق وطماطم، حلقات من الخبز الطازج والزبد، خبز محمص ومرعي. اعتقد أنني سأتناول بعضا من مرعي الكرز الأسود لأنني لم أذقها بعد فوق هذه السفينة. وهتفت مارجي:

"لن تأكل كل هذا وأن فعلت فلن تحتاج لشيء آخر طول اليوم!"

"مكذا سيكون لدي وقت أكبر للتجول في أنحاء الجزيرة، فأنني أبحث عن التحف القديمة".

"حاذر، فإن كل شيء مزيف هذه الايام".

وأوما غارث برأسه عند هذا القول، وهو يتجنب عيني وندي، كالمعتاد.

"شراء التحف في أي مكان من غير التجار المعروفين مقامرة كبيرة جدا هذه الايام، فقد وصلت عمليات التزيف حتى أن الخبراء يخدعون أحيانا".

وسألته مارجي في فضول:

"هل تجمع التحف القديمة؟"

"كنت محظوظا بوراة كل ما أحتاج اليه".

أجابها وهو يلتقط سكيننا ليمسح بها الزبد على الخبز المحمص، وأكل قليلا، ولا حظت وندي تلك البداية بفض النظر عن الوجبة نفسها، ففي الإفطار تناول قطعتين من الخبز المحمص، واحتسى فنجانا واحدا من القهوة، وأضاف يقول:

"أحيانا أختار القطعة لمجرد أن أضيفها الى مجموعتي، لكن جمع التحف ليس بأية حال هوايتي كما هو الحال بالنسبة الى بعض الناس".

ورمق وندي كما لو لم تكن موجودة على الإطلاق، واستفسر من مارجي إذا كانت هوايتها جمع التحف فأجابت بالنفي، لكن لرغبتها في إشراك وندي في الحديث، ابتسمت لها وسألت:

"هل تجمعين التحف يا عزيزتي؟"

ومن دون تفكير قالت وندي إنها ذات مرة بدأت في جمعها، لكن منذ بضعة أشهر قررت ألا تشتري شيئا آخر. وأضافت:

"لدي بعض القطع الجميلة من روكنفهام".

"روكنفهام؟ تلك أشياء يصعب اقتناؤها هذه الايام".

"أجل أعتقد هذا".

وظهرت الظلال في عينيها لحظة عندما تذكرت ابن العم المجهول الذي لابد أن يرث قريبا صندوقي ممتلكاتها وقد تركتها مع الدكتور هويتكير.

وسأله فريزر.

"ما الذي جعلك تتوقفين عن هذا الجمع؟"
"الأشياء غالية جدا الآن."

وعند هذه اللحظة وصل أفطار فريزر، وترك الموضوع ولم
يثره مرة أخرى مما جعل وندي تشعر بالارتياح.

١٠ - الجراح المجهول

وبعد الإفطار مباشرة ذهبت وندي الى مكتب موظف
الحسابات وأبلغت المسؤول هناك بعزمها على مغادرة الباخرة
في لوس أنجلوس، فقال بتجاهلهم:

"هذا قرار مفاجيء، فالركاب الذين يهتزمون النزول في أي
من الموانئ يبلغون شركة البواخر عادة، في بداية الرحلة."
"أنا آسفة للازعاج، لكن من الضروري جدا أن أترك السفينة
عدا."

"فهمت، سأبذل كل ما في وسعي، وعليك حزم جميع أمتعتك
وأعدادها."

وقالت: نعم إنها ستكون مستعدة.

سيكون الرحيل نهائيا هذه المرة، نهائيا تماما.

وعندما عادت الى غرفتها بدأت في حزم أمتعتها وهي
تفكر: الى أي حد أصبح هذا لا جدوى منه لأنها لن تحتاج مرة
أخرى الى كل تلك الثياب، فملايس المساء - مثلا - يمكنها
أن تخرجها وتلقي بها من السفينة وهذا من شأنه ألا يثير
المتاعب للآخرين، لكنها حزمته تاركة في الخارج ثوب
"البيلوس" اليوناني التصميم، لأنه سيكون هناك حفل تنكري
راقص آخر هذا المساء.

أين تذهب عندما تغادر السفينة في لوس أنجلوس؟ بالطبع
ستنزل في فندق، لكنها شعرت بالقلق إزاء ما لديها من مال،
فهي ليست واثقة اذا كان سيكفي رحلة عودتها الجوية الى
الوطن، ناهيك عن نفقات الإقامة في الفندق،

وهي باهظة، وقالت بفتور:

"سأفكر في هذا في الصباح، فأنا الآن لا أستطيع أن أفكر في شيء إطلاقاً".

وكان حزم الأمتعة يتطلب وقتاً طويلاً، لذلك أنجزت جزءاً من المهمة ثم ذهبت إلى "القاعة الزرقاء" لتناول قهوة الصباح وكان أول شخص قابلته هو شو، الذي تقدم إليها وقال:

"إذن فقد رفضك؟ حسناً، لقد رفضتني لأجله، وهكذا لقيت فقط ما تستحقين".

وكانت شاحبة، لكنها متعاسكة، وتجاوزته وجلست، وجاءت قهوتها بعد دقائق من طلبها، وجلست وحدها وهي تحتسيها وتفكر في غارث والأسابيع السعيدة التي قضتها معها، وفكرت في مسندي الكتب الجميلين اللذين اشترتهما له، وراودها الأمل أن يحتفظ بهما، وأن يذكر في بعض الأحيان الذكريات السعيدة فقط، وكانت ترتدي السوار والخاتم، هديتي غارث إليها.

وأقبل مع نيكول، والتقطت وندي كتابها، وهي تشمر بالامتنان لأنها أحضرته معها، أية راحة يوفرها كتاب في موقف مثل هذا! وفتحت في هدوء، وبدأت تقرأ، أو بمعنى أصح تتطلع في الصفحة المطبوعة لأن القراءة كانت مستحيلة إذ هناك الكثير تفكر فيه، فان حزم أمتعتها شغلها، كذلك فكرة أنها تصبح وحيدة تماماً في لوس أنجلوس سيكون لزاماً عليها أن تبرق إلى الدكتور هويتير، وتسال عن موعد الطائرة، ثم تذهب إلى المطار، ومعها أمتعة كثيرة، إذن ما الذي ينبغي أن تفعله؟ الأفضل أن تتركها وراءها في الفندق، لو ذهبت إلى الفندق.

"ينبغي أن أذهب إلى فندق، لأنه لن تكون هناك رحلات جوية غداً، لا أعتقد هناك رحلات".

ثم هناك مقابلة صديقيها مارجي ودينبي هذا المساء أثناء العشاء، وهي تعلم أنها تقوم بخدعة قذرة إزاءهما.

أجل، كل هذا تراكم عليها وعلاوة على ذلك تشمر بالقلق أن تكون مع أغراب عنها عندما تأتي النهاية. فوق السفينة

كانت ستكون واثقة من وجود أحد ممن تعرفهم معها في النهاية - غارث... راودها الأمل في وقت من الأوقات أن يكون هو... ثم تلاشى هذا الأمل... وصارت تريد مارجي. لكن ربما أتمكن من العودة إلى انكلترا، ينبغي أن أكون قادرة على ذلك لأنه لا يزال أمامي أسبوعان آخران، وربما أكثر قليلاً.

وعلى أية حال ينبغي أن تكون مستعدة لأنه، حسب الأخصائي الدكتور هويتير، لا يمكن التكهّن متى تأتي النهاية بالتحديد.

وسمعت صوتاً تعرفه تماماً، وضع حداً لجميع أفكارها التعمسة. وكانت النظرة التي منحتها لمارجي نظرة امتنان عميق مصحوبة بأحدى ابتساماتها البهيجة.

"مارجي؟ إنني سعيدة جداً برؤيتك!" ونظرت إليها مارجي بشيء من الحيرة وقد ارتسم على وجهها تعبير غريب وقالت:

"حقاً؟ أهناك شيء يضايقك؟"

"لا شيء... فقط كنت متضايقة من البقاء وحدي".

وجلست مارجي على مقعد وهي تشير بيدها للضيف:

"ذهب دينبي إلى المزين لذلك جئت لتناول فوجان قهوة... وأدركت أن لدي شيئاً أود اخبارك به! صاحب صالة "البنغو" للمقامرة كسب أكثر من ألف جنيه في الليلة الماضية، في أحد الكازينوهات، اكتشفت ذلك بالصدفة!"

واضطرت وندي إلى الضحك وهي تقول:

"مارجي، انك شخصية هذة ولا سبيل لتقويمك!"

"أعتقد أن دينبي سيتضايق مني في النهاية؟"

"ليس هو، فانك ستحافظين على حيويته".

وردت مارجي ضاحكة:

"وعلى تزويده بالمعلومات!"

ووصلت قهوتها وجلست صامتة تحتسيها ليضع لحظات ثم

قالت أخيراً بنبرة يغشاها الأسف:

"أتمنى لو جئت معنا إلى هوليوود".

"سبق أن شرحت لك، فأنا أريد البقاء وحدي فترة

من الوقت .

"اننا نحترم رغبتك لكننا نود أن تكوني معنا ."

وابتلعت وندي ريقها بصعوبة، وهي تشعر بشناعة ما تفعله مع هذين الشخصين الرائعين لكن لا طريقة أخرى على الإطلاق، وستفهم مارجي وديشي، فيما بعد، عندما يتلقيان رسالة من الدكتور هويتكر .

ثم قالت:

"إنك لطيفة جدا يا مارجي ."

وبعد أن فرغتا من قهوهتهما قالت مارجي:

"ما الذي ستفعلينه الآن؟ ما رأيك في القاء نظرة على المحلات التجارية؟"

"أجل، سيكون هذا أمرا سارا ."

أي شيء لتهرب من بقاتها وحيدة، لأنها ستصبح وحدها قريبا عندما تبحر السفينة بدونها تاركة أياها فوق أرض أجنبية .

وكانت المحلات حافلة بأشياء رائعة تغري أي شخص معه أموال لينفقها لكن وندي ومارجي كانتا تنجولان فقط ولا تشتريان شيئا . وقالت مارجي:

"لا أستطيع أن أقول إنني سأشعر بالأسف عندما تنتهي هذه الرحلة، كانت البداية رائعة، كذلك منتصف الرحلة، لكن عندما اقتربنا من نهايتها تشمرين بأنك . . . حسنا . . . لست متبرمة تماما لكن ليس لديك شعور المتعة الذي كنت تحسین به في الموانئ التي زرناها في البداية . أليس كذلك؟"

وأومأت وندي بالإيجاب وقالت:

"أجل ."

"كاليفورنيا - مثلا - انني اتطلع بشوق الى بيفرلي هيلز وهوليوود لأنني لم أرهما إطلاقا، لكنهما ليستا مثل بالي أو هونغ كونغ ."

لا . . . لأن غارث كان معها في تلك الأماكن وقالت:

"هذه الأماكن ليست غريبة . . . هذا هو السبب ."

"هل تذكرين كورا ساو؟ ألا يبدو كأنها مرت فترة طويلة جدا منذ كنا هناك؟"

"نعم ."

وتذكرت وندي أن تلك كانت البداية، فقد استهل غارث اليوم بدعوتها الى مشاركته سيارته، وأضافت:

"فعلا يبدو كأن دهورا مرت ."

لم يكن قد مر إلا أسبوعان فقط على مفادرتهم ساوثهامبتن، ثم قضت شهرين رائعين برفقة غارث وصادقته، والآن، كل شيء انتهى .

وقررت وندي أن تتغيب عن الغداء، لأنها أرادت أن تستكمل حزم أمتعتها قبل العشاء، وبعده سيكون الحفل الراقص البديع، ولن ينتهي إلا بعد منتصف الليل، وعرفت بحدسها أنها لن تنام كثيرا هذه الليلة، لذلك الأفضل أن تبقى في رفقة أولئك الذين تعرفهم بدلا من أن تعتذر مبكرا وتستلقي ساهرة تفكر في حالتها وتتأمل كيف ستصرف وحدها غدا .

وكما حدث من قبل توجهت الى العشاء مرتدية "البيلوس"، واتجهت كل العيون اليها، وسارت متمهلة عبر قاعة الطعام الى مائدتهم عالية الرأس بينما كان قوامها البديع يتهادي في ثوبها الجميل، وكان الاختلاف الوحيد بينها هذه المرة والمرة السابقة تلك النظرة الهائجة التي قالت مارجي انها تبدو في عينيها . وذلك التعبير الحالم المراوغ الذي يلوح الى وجود سر دفين في أعماق قلبها .

كذلك كان هناك نوع من الاستسلام الفاتر، مدفونا في أعماق عينيها البنفسجيتين الجميلتين . . . الاستسلام المعبر عن اليأس .

ونظر اليها غارث وهي تجلس، وأصبح واضحا لديها أنه رغم محاولاته فهو لا يستطيع أن يرفع عينيه عنها .

وتحركت شفتاها لتسمحا لابتسامة هاربة بأن تظهر، وراة عينيه تضيقان، وفمه ينقبض، ثم أدار رأسه متحدثا الى صديقه .

وهتفت مارجي بنبرة إعجاب عميقة:

"عزيزتي، تبدين جميلة، أليس كذلك يا غارث؟ إنها أجمل فتاة في هذه القاعة ."

وحدث أنه في هذه اللحظة بالذات كانت نيكول نمر، فتوقفت وظهرت على وجهها نظرة حاقدة، لكن تعبيرها تغير تماما عندما التفت عيناها بعيني غارث، فابتسمت له، وهي تستعرض كل فتنتها، لم تتحرك عضلة واحدة في وجهه، وواصلت الفتاة سيرها، وأعقب ذلك صمت غريب، وأحمر وجه وندي ارتباكاً، لكن الحمرة التي كست وجنتيها أكسبتها نضرة ورونقاً، وعندما تلاشت بقي الجبال وأصبحت بشرتها كالمرمر في نعومتها.

وكان العشاء وجبة هادئة، لكن وندي ظلت طول الوقت واعية لعيني غارث، اللتين اختلستا النظر اليها من حين إلى آخر، وبدا كأنه يبحث عن شيء ليس واضحاً منه. وانتابها انطباع فضولي غامض بأنه لا يشعر بالعداء تجاهها كما كان في الأيام الثلاثة الماضية، وكان انطباعاً محيراً فلم تكن لديها أية أدلة واضحة.

ولم يكن غارث، ولا فريزر، يرتديان ملابس تنكرية إذ قرر كل منهما ارتداء سترة العشاء التقليدية، أما مارجي فارتدت الثوب الذي ارتدته من قبل - ثوب "مدام بومبادور" الذي يناسبها إلى حد كبير.

وأثناء العشاء بدأت وندي تشعر بشيء مختلف تماماً عن أي شيء شعرت به من قبل، لم يكن رأسها هو الذي يؤلمها، لكن أطرافها أصبحت خائرة القوة، وعندما التقطت شوكتها رأت يدها ترتعش، وجلست ساكنة تماماً لكن لم يحدث شيء جذري، وشعرت أنها بخير أثناء بقية الوجبة، وفي النهاية نهضت، وهي تبدو في شكل ملكي هزيل، وقد شحب وجهها، ورقت حركاتها.

وفي ساحة الرقص طلب مرافقتها شاب كان يحسد غارث طول مدة مرافقته لوندي، ولم تكن وندي تعرف ذلك، لكنه أخبرها بصراحة:

"منذ فترة طويلة وأنا أريد أن أرقص معك، وأخيراً انتني الفرصة".

وابتسمت له، لكن قلبها كان مع غارث، ونظرت حولها، لكنه لم يكن موجوداً، كم بدا وسيماً هذه الليلة، كان

لون قميصه الأبيض الناصع يتعارض تماماً مع سمرة بشرته الداكنة... ألم يقل فريزر أنه أرقق بالعمل والهدف من هذه الرحلة هو استعادة نشاطه، حسناً، لا يمكن أن يكون أكثر صحة مما يبدو عليه الآن.

وأخبرها الشاب بأن اسمه ستيفن، وعندما توقفت الموسيقى بقي بجوارها. واضطرت أن تبتسم، فالواضح أنه لا ينوي تركها دون حراسة، خوفاً من أن يأتي شخص آخر ويطلب منها مراقبته.

وكانت الرقصة التالية "فالس" ولاحظت وندي لدهشتها أن نيكول واقفة وحدها إلى جانب القاعة، ومرة أخرى ألقت نظرة حولها، وكان غارث هناك يقف على إحدى الدرجات المؤدية إلى المنصة التي يجلس فوقها أعضاء الفرقة الموسيقية، يتحدث مع القبطان. هل رأتهما مارجي؟ سألت وندي هذا السؤال لنفسها وهي تتوقع أن تظهر السيدة الأميركية فجأة، وترتبت على كتفها وتصبح بنيرة انتصار.

"ها هو يا عزيزتي، ماذا قلت لك؟ إنه شخصية هامة".

وسرحت أفكار وندي من غارث إلى الرجل الذي يتحدث معه، سرحت لأن العبء الثقيل المريع لما ستفعله يضغط عليها بكل أثقاله مرة أخرى ومهما حاولت لا تستطيع أن تمنع نفسها من التفكير فيما ستواجهه هناك. الصعوبة الحقيقية في مغادرة السفينة وحمل حقائب عديدة معها، وهي صعبة لم تواجهها عندما ركبت السفينة، لأن كل أمتعتها الثقيلة سيقنها إلى ظهر السفينة قبل وصولها هي إلى ساوثهامبتن. ثم كان هناك قلقها بشأن المال المتوفر لديها، وهل سيتبقى لها شيء لإقامتها بعدما تحذف منه أجر عودتها جواً إلى الوطن، ينبغي لها أن ترسل برقية إلى الطبيب. وتوقفت أفكارها فجأة وهي تلتوي بين ذراعي ستيفن وضغطت راحة يدها على جبينها وهي تئن أنينا مكتوماً وقالت متوسلة:

"أنا... أنا... غرقتي... ينبغي أن أذهب... إلى... غرقتي..."

"هل أنت مريضة؟"

"أجل... أنا... مريضة... أرجوك أن توصلني..."

وأفلتت منها صرخة حادة عندما وخزها الألم المخيف في رأسها، وشعرت أن كل قطرة دم هربت من وجهها وشفتيها. وجن خلال الضباب الذي غشي عينيها رأت وجه الرجل الذي أحبه وشعرت بذراعيه تمسكان بها وترفعانها وكانت واعية لأصوات الهمهمة المذعورة، ومارجي ودينبي وهما يندفعان نحوها... واعية للنفثات الثوب اليوناني الجميل على الرجل الذي يحملها برقة كما لو كانت دمية من الخرف... وسمعت لرأسها بأن يستقر فوق كتفه وهي تصرخ مرة أخرى عندما انتابها الألم الفظيع في رأسها. وسمعت صوتاً يسألها:

"هل لديك بعض الحبوب؟"

كان صوت غارث سريعاً لكنه أجش في الوقت نفسه. وفكرت... هل هو غارث؟ انه يبدو مختلفاً.

"أجل... في غرفتي..."

وفقدت الوعي حينئذ، لكن ليس لمدة طويلة. وفتحت عينيها وسألت:

"أين أنا؟"

"في مستشفى السفينة"

ونظرت الى وجهه، ورأت أنه داكن مجهداً وكان شخص ما يتحدث اليه الآن طبيب السفينة والقبطان نفسه، وصدر صوت ضعيف من بين شفتيها وهي تحاول جاهدة أن تكبت صرخة ألم في الوقت الذي أحست بخوف شديد، وهمست:

"غارث، أريدك قريباً مني عندما... عندما تأتي النهاية..."

ورأت من خلال الضباب مجرد شبح لا أكثر، لكنها شعرت بذراعيه وقالت:

"لم أعد خائفة على الإطلاق..."

وحتى الآن، والألم البريع يخرق رأسها، نجحت في أن تمنحه إحدى ابتساماتها البديعة.

"تسير بأقصى سرعة، وبذا ينبغي أن نصل الى لوس أنجلوس جوالي الخامسة صباحاً..."

"ليتنى أتمكن فقط من أن أجري الجراحة هنا..."

"مستحيل يا سيد ريفرز، ليست لدينا المعدات اللازمة لمثل هذا النوع من الجراحات..."

كلمات... ماذا تعني؟ مازال شبحاً لكنها سمعت صوته يقول شيئاً عن إجراء جراحة، وقالت بصوت واهن لكنه مفهوم:

"إنها النهاية... ليس هناك أمل... إنها النهاية لكنني لست خائفة..."

ورفعت ذراع ورأت شبح كوب ماء وسمعت صوتاً يقول:

"القرص يا عزيزتي..."

وابتلعتته وهي لا تكاد تعي أن شخصاً ما لا بد أنه أرسل الى غرفتها لاجتماع الأقراص، ورفع غارث كوب الماء الى شفتيها ورشقت بعضاً من محتوياته، وأعيدت برقة الى الوسادة، وقالت:

"لست خائفة، لن أكون خائفة اذا بقيت معي يا غارث، لا أستطيع أن أراك جيداً، لكن يبدو أنك أنت..."

"إنني هنا يا حبيبتي ولن أتركك..."

"الدنيا تسود أمام عيني..."

وأدركت أن يدها في يده وقالت مرة ثانية:

"الدنيا تسود أمام عيني..."

"يا إلهي! كيف لا يمكنني أن أجري الجراحة هنا؟"

صدرت هذه الكلمات من أعماق أعماقه...

غارث... جراح!

"إنني أسف يا سيد ريفرز لكن ليس هناك ما نستطيع أن نفعله أكثر من هذا. سترسل المستشفى في لوس أنجلوس سيارة إسعاف الى الميناء، لقد أبلغوا بالإسلكي كما تعلم..."

هل كان هذا صوت القبطان؟ علمت وندي أنه هو.

"لا جدوى من الجراحة..."

هل كان هذا صوتها هي؟ يبدو مهزوزاً وغير واضح، وتجهمت عندما عاودها الألم. أصبح الآن فاتراً وعلى هيئة نبضات متتالية، لأن مفعول القرص بدأ يسري.

"قيل لي أنه ليس في مقدور أي شخص أن يفعل شيئاً..."

وخفت صوتها، وشعرت بقبضة يد غارث وقد التفت أصابعه حول أصابعها، وبدأ الألم يتلاشى أيضاً، وشعرت بالهدوء العميق يسري داخلها... كانت تلك هي النهاية، لأنها شعرت الظلام يجتاحها بسرعة أكثر.

"غارث... ابق معي".

"سأبقى يا حبيبتي".

وتلاشى صوته المهزوز الخفيض وسط حالة اللاوعي المتزايدة التي تجتاحها وأصبح الرجال الآخرون في الحجرة مجرد ظلال تتحرك أمام نظرها المغلف بالضباب، وهمست وهي تمسك بيد غارث بقوة.

"زال الألم، ولن يعود مرة أخرى".

"القرص هو الذي أزال الألم يا حبيبتي".

وأغمضت عينيها وقالت:

"إنني أحبك يا غارث".

"عزيزتي لا تتركيني! تماسكي بضع ساعات أخرى، أقول، تماسكي".

وكان صوته عنيفاً وأمرأ الآن، وحتى وهي في حالة تشبه اللاوعي، أدركت أنه يعاني من ألم كبير، وقالت وهي تعطيه، بأعجوبة، واحدة من أبهى ابتساماتها التي يعرفها جيداً: "عزيزي، غارث، ليس هناك ما يستطيع أحد أن يفعله، كنت أعرف عندما جئت إلى السفينة بأنني في الغالب لن أتركها حية".

"توقفني! أقول توقفني!"

"سيد ريفرز، ينبغي أن أسألك..."

"اهداً... وأسرع أكثر بالله عليك".

وفتحت وندي عينيها، هل كان غارث يحدث القبطان؟ وحذرت وقد أجبرت ضحكة أن تظهر فوق شفثيها: "يمكنه أن يقيدك بالأغلال".

ومن خلال الضباب الذي غلف عقلها أدركت أن نوعاً من الحركات المضطربة تجري خارج الباب. ثم سمعت صوت مارجي وهي تطلب الدخول وتقول:

"إنها صديقتي الصغيرة، لذلك فأنها تريد أن

تراني بالطبع، قالت أنها ستفضي إلي بسرها، لكن يبدو لم يكن لديها الوقت الكافي".

"سيدة سترومبرغ عليك أن تذهبي".

أكان هذا صوت القبطان؟ واكتست جبهة وندي بتقطعية عميقة.

"أحسست بأن هناك شيئاً ما، لكنني لم افطن لحظة واحدة أنها ستتموت".

وتوقفت مارجي لحظة، ثم قالت بنبرة أكثر نعومة وتوسلاً:

"دعني أراها، أرجوك، ينبغي ألا تموت دون أن أراها".

وتحدث غارث بنبرته الهادئة المهدئة:

"وندي لن تموت يا مارجي. وعلى أية حال، وبإذن القبطان،

يمكنك الدخول لحظة، أعتقد أنها ترغب في ذلك".

وصرخت وندي:

"لكنني سأتموت! ينبغي ألا يراودك الأمل هكذا يا غارث، ليس مقدراً لنا أن نكون معاً".

ولم تستطع أن تراه، لكنها أحست بأن وجهه صار أكثر شحوباً من أي وقت، ينبغي أن تفعل شيئاً لتجعله يدرك مدى اليأس من حالتها، وقالت:

"ليس هناك أحد على استعداد لإجراء الجراحة، لأنني، ببساطة، لا املك فرصة للبقاء".

وجاء صوت مارجي:

"عزيزتي...".

وسرت وندي إذ سمع لمارجي بالدخول ووضت مارجي تقول:

"فهمت الآن لماذا بعث بيتهك...".

وتوقفت وقد أدركت فجأة أن هذه ليست هي الطريقة

المثلى للحديث وعلى الأقل إلى وندي:

"غارث، سأخبرك بكل شيء فيما بعد".

وتجهمت وندي، أخبره ببيع بيتها لتشارك في الرحلة

البحرية؟ لم تكن تعتقد أن غارث يهتم بأمور كهذه، وتحدثت

مارجي ثانية، لكن كلماتها كانت غير واضحة:

"علمت من أول الرحلة أنك شخص هام لكنني لم أكن أحلم بأنك سير جيمس ريفرز جراح الأعصاب المعروف".
وأصبح الظلام شبه كامل، وأمسكت وندي بيد غارث بقوة أكبر من أي وقت، وبشجاعة رسمت ابتسامة على شفثيها وهي تقول:
"إنني راخلة".

وأجتاحها هدوء جميل لأنها أصبحت في فراغ لا يمكن للألم أن يمسها فيه، وفكرت وسط الضباب: إنني لم أنقذ غارث بعد كل محاولاتي، فسيحزن لأجلي.
لكنها كانت خارج أي وعي حيث يمكن للأسى أن يسيطر على مشاعرها، وكانت تغوص بسرعة إلى أعماق النسيان، حيث لا شيء يمكن أن يقلقها بعد ذلك.
وكانت عيناها مغمضتين، وعندما خبت لديها آخر فكرة سمعت غارث يقول:
"تماسكي... أقول لك أنك ستتماسكين".

ثم لم تسمع شيئاً آخر.
وفتحت عينيها وأخذت تتدق في السقف، وطرف حاجبها في تقطبية وهي تحاول أن تركز، أجل، مرت بأحدى حالات اللاوعي، لكن كان من المنتظر أن تكون هذه هي الأخيرة.
كم من الوقت مر عليها وهي غائبة عن الوعي؟ فكرت أنه ليس كبيراً لأنها لا تزال فوق السفينة، ولاحظت الضوء الخافت، والجدران البيضاء. وبدأ الظلام يهبط مرة أخرى، وأدارت رأسها لترى غارث يجلس هناك فوق كرسي بجوار الفراش، رأسه بين يديه، أنه إخصائي الدماغ المعروف السير جيمس ريفرز الرجل الذي أمره أطباؤه بالراحة لأنه كان يميل فوق طاقتة عبر سنوات عدة. كان قدره ثعباناً جداً بالنسبة لزملائه، وخركت يدها، وفي الحال أحست بللمسة غارث القوية الدافئة، غارث، ينبغي أن يكون اسمه سير جيمس غارث ريفرز أو أنه انتحل فقط اسم غارث؟ قال إنه سيجري الجراحة. على الأقل اعتقدت قال ذلك. لكنهم لا بد أن يكونوا قد وصلوا إلى المستشفى في لوس أنجلوس أولاً. وكان الضوء يسزداد مرة أخرى لـ

خفت وترك أشياخاً، ووصل صوت إليها:
"هل تشعرين بأي ألم يا عزيزتي؟"

ورسمت شبه ابتسامة على شفثيها وقالت:
"لا، إنني أشعر باسترخاء جميل".

وكانت هذه الكلمات تستهدف طمأننته، لكنه، لدهشتها، تجهم بشدة وقال وقد اختفت النبرة اللطيفة من صوته وأصبح جافاً:
"فقط تماسكي، بعد ساعتين أخريين أو نحو ذلك سنكون في لوس أنجلوس وسأجري الجراحة".

"لا أمل هناك، لقد أكدوا لي ذلك".
ورد بخشونة:
"هناك أمل دائماً".

"لكن يا عزيزي غارث".
وتوقفت كلماتها عندما زاد الضغط على يدها إذ كانت أصابعه تشدد قبضتها عليها، وكرر:
"هناك أمل دائماً، ينبغي ألا تيأسي، فاليأس موقف من العقل، يجب أن تقاوميه".

كان يوسعها أن تفهم مشاعره وأحاسيسه القوية العنيفة في هذا الموقف الذي يتهدد حياة حبيبته. أنه لم يستطع أن يفقد الأمل، وعرفت أنه جلس هناك بلا حراك وهو يحثها على التماسك قائلاً إنها ينبغي أن تعيش، إنها سوف تعيش. ووعدته:
"سأتماسك، سنكون هناك خلال ساعتين كما تقول؟"

"نحو ذلك، وخينئذ ينبغي لنا أن ننقلك إلى المستشفى".
ونظر إليها نظرة حب ورقة واحترام عميق، وقال وقد أخذ صوته يرتفع مشحوناً بالمواطف:
"أنت فتاة شجاعة".
"ستنقذني على ما أعتقد".

"ضمي ثقتك في يا عزيزتي، وسيساعدني هذا في مهمتي".
وكان جميع المعنيين بالأمر في حالة استعداد عندما رست السفينة ولم يسمح لأحد بالنزول إلا بعد أن أنزلت وندي على نقالة وهي في حالة نصف وعي وظل غارث

ممسكا بيدها طول الطريق الى المستشفى، وقد أصبح وجهه متوترا وشاحبا بعض الشيء، وبدأ أكبر بعشر سنوات... فكرت في ذلك وهي تدل جهداً يائسا لقمع صرخات الألم التي ارتفعت الى شفتيها، لأن القرص الذي أخذته عندما عاودها الألم منذ نحو ساعة لم يعد يجدي، لكنها بين حين وآخر، كانت تسمح لأنة ألم خفيفة أن تفر من بين شفتيها لأن الألم الفظيع الناجم عن الضغط على رأسها كان فوق طاقة احتمالها.

وحالما أصبحت داخل المستشفى نقلت الى مركز الأشعة، لكنها، لسبب ما بعدما نقلت فوق عربة بعجلات حوالي ياردة فقط توقفت الممرضة التي كانت تدفع النقالة، وغابت ليضع ثوان، وحينئذ سمعت وندي صوت غارث وهو يتحدث مع أحد الأطباء:

"رأيت صور الأشعة التي التقطت من قبل، أرسلها طبيبيها الى القيطان... جميع الظواهر تدل على أن حالتها ميؤوس منها، لكنني أرى أن هناك فرصة ضئيلة، وأمل أن يسمح لي بإجراء الجراحة".

وعادت الممرضة، ولم تسمع وندي شيئا آخر.

وعادت الى وعيها بعد بضع ساعات، واستلقت برهة وهي تشعر بدوار، وعدم ادراك، ثم وضعت يدها على رأسها، وأدركت أنها ملفوفة في الضمادات، لكنها لم تتذكر شيئا مما حدث بعدما عادت الممرضة وبدأت تدفع عربة النقالة الى قاعة الأشعة.

وكان عقلها لا يزال مهتزا، وأفكارها مشتتة، لكنها عرفت أن العملية الجراحية أجريت، ولا تزال حية!

وكان غارث هناك عندما فتحت عينيها بعد مدة طويلة، وجهه الحبيب لا يزال قائما متوترا، لكن عينيها كانتا تشعان لها بنظرة رضى عميق، الانتصار والابتهاج والتواضع، كلها كانت مكتوبة هناك في قسماته ورسمت وندي ابتسامة على شفتيها الجامدتين الجافتين، وقالت ببساطة وفي صوت واهن:

"أشكرك يا غارث".

"شكرا لك يا عزيزتي بصمودك، لم يعد هناك خطر الآن. لا خطر، هل حدث أن تلقى أي شخص كلمتين أخريين يمثل هذه الفرحة والامتنان؟

ورقدت هادئة لحظة طويلة، وهي تتمتم بالصلاة شكرا على نجاتها.
"لا خطر".

كررت الكلمتين مرة أخرى وابتسمت عيناها وشفتاها بذلك الطريقة الرائعة الخاصة بها وحدها، أما ابتسامتها غارث فلم تكن وشيكة الظهور، وعرفت بالحدس، أنه يستحيل عليه أن يبتسم، فكان غارقا في التفكير، ولم تعرف إلا فيما بعد الى أي حد كانت قريبة من الموت أثناء الجراحة. كيف كان الخيط الذي تتعلق به حياتها دقيقا رقيقا رفيعا، وأخبرت فيما بعد أيضا بحالة الهذيان التي انتابتها أثناء العملية حيث كانت حياتها معلقة في كفة الميزان مرة أخرى.

"هناك دواء خاص جدا ولحسن الحظ أنه متوفر هنا في المستشفى، هذا الدواء سيضمن اجتيازك مرحلة الخطر بسلام".

عاد صوته الآن الى طبيعته، وبدأ وجهه يستعيد نضارته، وأضاف برقة:

"نامي يا حبيبتي، سنتكلم عندما تصبحين أقوى قليلا".

"أسفة اذ تسببت في تألمك، كان ذلك ضروريا، ألا ترى؟

"قلت نامي، أنت بحاجة الى النوم يا حبيبتي".

"هل يمكنني أن أسأل منذ متى وأنا هنا؟

"منذ يومين".

"هل كنت فاقدة الوعي طول هذه المدة؟

وبدا جفناها ينسدان، وراقبها في صمت، وأدركت أنه لن يرد على أية أسئلة أخرى، وغلبها النوم سريعا، وأحاطها بسلام وساعدها على الشفاء.

ولم يسمح لها غارث أن تتكلم بأسهاب إلا بعد أيام عديدة أخرى، وكانت لا تزال تحت رعايته إلا أن جراح الأعصاب بالمستشفى، الذي لم يقبل أن يبقى في الظل

رغم أنه سمع لغارث بإجراء الجراحة، كان يزورها من حين إلى آخر، لمجرد الاطمئنان على تقدمها، وسمعه يتحدث مع غارث ذات مرة خارج باب غرفتها، حيث ظنا أنها نائمة، يتحدثان "عن المعجزة" التي حدثت في المستشفى - وكان الجراح المقيم هو الذي ذكر الكلمة، وجاء تعليق غارث الهادي:

"كانت لديها إرادة الحياة، ليس لي أي فضل في إنقاذها".
وماذا عن الفترة التي كانت غائبة فيها عن الوعي؟ إرادة الحياة لم تكن تعمل حينئذ."

"قبل ذلك أوضحت لها أنها يجب أن تتماسك، وفعلت".
ونظرت وندي إلى الباب الذي كان مشقوقاً وقالت بنعومة:
"لا تطلب كثيراً في شجاعتك، كنت أشعر بخوف فظيع، لكنني أدركت أنني لن أكون خائفة لو كنت معي في النهاية".

تلك الليلة قرر أن يقضي معها ساعة أو نحو ذلك بعدما أكلت بشهية لإرضائه. والتقط يدها في يده وهو يقول:

"لماذا لم تفضي إلي بسر؟"
"لم يكن باستطاعتي التحدث عن الأمر، ألا ترى أنني كنت أتمتع بأي شيء تقدمه لي الحياة؟ لو تحدثت عن مصيري لأفسد ذلك كل شيء".
وقاطعها قائلاً:

"لكنه لم يكن سيفعل، نظراً لما كانت عليه الأمور".
"يبدو أنك نسيت أنني لم أكن أعرف من أنت، أنت الذي كنت تقوم بالرحلة متذكراً، ومع ذلك كنت فظيلاً معي عندما كنت تشك في أنني لينيز ما فارو".

"هذا مختلف تماماً - فلينيز ما فارو لم تكن المرأة التي أريد في اتخاذها زوجة، وأذ كنت واقعاً في حبها".
يا إلهي...

لم تستطع مقاومة مقاطعته، وقد أضاعت عيناها بروح الدعاية. ونظر إليها بحدة وقال:
"ذكريني أن أضربك عندما تشفين تماماً".

وضحكت مرة أخرى وقالت:

"لا يمكنك أن تخيفني بتهديدات مثل هذه".

"أرى أنني سأواجه بعض المتاعب".

لم تفتها نبرة الاغماظة في صوته:

"ما زال أمامك الوقت الكافي لتغير رأيك بشأن... بشأن...".
وتلاشى صوته وأصبح صمماً مرتبكاً عندما أدركت ما كانت على وشك أن تقول.

"بشأن عرضي عليك بأن تصبحي زوجتي؟ لا خوف بخصوص ذلك يا وندي فأنت الفتاة المناسبة تماماً لي".

وأرخت رموشها الجميلة، وحدثت في ملاءة السرير وهي تتلهى بحافتها، والشيء الوحيد الذي استطاعت أن تقول هو:
"لا أستطيع أن أصدق أن هذا كله حقيقي".

وردت على ذلك رفع وجهها، وأمسك بذقنها في راحة يده، وقرأت في عينيه ما كان على وشك أن يعبر عنه.

"إنني أحبك وأريدك زوجة لي، لا حاجة لأن أقول لي أنك ستزوجيني لأنني أعرف أنك تحبينني، وقد أحبيتني منذ وقت".

ولم تخطيء اللمحة المفاجئة في صوته، وتكررت عندما مرت بخاطرها ذكرى إيدائه. وحاولت أن تشرح، وأن تخبره كيف أرغمت على رفض شو لأنه أصبح متعلقاً بها أكثر من اللازم، وواصلت بدون تفكير:

"معك شعرت بأن الأمر لا يهم لأنك لن تتألم، اعتقدت أنك تغارلني فقط".

"ربما كنت في البداية".

"عندما اعتقدت أنني لينيز؟"

"هذا صحيح".

"بالطبع لم أكن أعرف في ذلك الوقت أنك تظنني لينيز".

"كلا... لم تكوني تعرفين".

وجعلها شيء ما في نبرته تنظر إليه نظرة شك وقالت:

"إنك تجد شيئاً للمزاح على حسابي".

"ليس هناك شيء من هذا القبيل، أنني منصت بكل اهتمام".
لو كنت ستضحك مني".

"بل أضحك معك يا عزيزتي، لكن أرجوك استمري، انني تواق الى الرد على عديد من الأسئلة المحيرة، كنت تقولين إنك اعتقدت أنني أغازلك".

وتوقفت، وهي تفكر في هذا الوجه الآخر له. فقد كان يتمتع بروح دعابة كبيرة.

"لأنني اعتقدت أنك تغازلني شعرت بأنني أستطيع أن أستغلك، لو كنت تعرف ما أعني؟"

"لدي فكرة واضحة عما تعنين".

"اعتقدت أنك ستكون قادرا على توديعي عندما يحين وقت فراقنا".

"اعتقدت بالطبع أنك ستعيشين حتى نعود الى انكلترا؟"

وتذكرت الآن أنه تلقى بعض المعلومات عن حالتها من طبيبيها وكانت تنوي أن تسأله عن ذلك من قبل ولكن لم تكن هناك فرصة وردت:

"لم أكن واثقة، كنت أمل بالطبع في أن أحياء".

"وماذا كنت تنوين عمله حينئذ؟ أخبرتني مارجي بأنك بعثت بيبتك للاشتراك في هذه الرحلة".

"كنت سأذهب الى دار للرعاية، وكان طبيبي يرتب لي كل شيء".

لم تعرف مدى الاحترام العميق الذي صار يكنه لها للطريقة التي تقبلت بها مصيرها، واستعدت بهدوء، لمواجهة كل الاحتمالات.

"الواضح أنك لم تعرفي أن طبيبك أخبر القبطان بحالتك الخطرة؟"

وهزت وندي رأسها ومضى يقول إن هذا كان ضروريا حتى يمكن لطبيب السفينة أن يلاحظها بدقة.

"الطبيب كان يعرف حالتي طول الوقت؟"

"الطبيب والقبطان، تقريرك وصور الأشعة سلمها أيضا لطبيبك".

"سمعتك مصادفة تخبر الطبيب بأنك رأيت صور الأشعة، وكنت أنوي أن أسألك عن ذلك".

وأوما وقال:

"علم القبطان أخيراً بأن هناك جراح أعصاب في السفينة وطلب مني مقابلته، له جناح صغير بعيد عن مقمره العادي، ودعاني الى هناك لتناول قهوة الصباح الباكر معه، عندما رأيته الليلة السابقة، وقال ان المسألة عاجلة وطلب مني الحضور الى جناحه صباح اليوم التالي، وهذا ما فعلته، وشرحت له أنني أقوم بالرحلة باسم عادي السيد ريفرز لأنني لا أريد أن يعرفني أحد، اذ جئت للراحة".

وتوقف لحظة، وأخبرته كيف أنها هي ومارجي كانتا تتوقان لمعرفة مهنته وقالت ضاحكة:

"سئل فريزر مباشرة، أجل من جانب مارجي، وأخبرها بأنك تقوم بالرحلة لأن طبيبك الخاص أمرك بالراحة لفترة طويلة".

وبدا مبتهجا وأعرب عن رأيه في أن مارجي انتكست لأنها عجزت عن اكتشاف المزيد عنه.

"قال فريزر إنك كنت مرهقا بالعمل منذ سنوات".

ونظرت وندي اليه، لكنه لم يعلق بشيء، ثم أشار الى حديثه مع القبطان وقال انه رغم أنه طلب من القبطان معرفة اسم السيدة ماثار المناقشة، الا ان القبطان رفض اعطاءه اياه قائلا ان رغبة صاحبة الحالة هي أن يظل أمرها سرا، لكن لو حدث لها أي شيء وهي فوق السفينة فانه سيطلب من غارث أن يكون مستعدا للمساعدة اذا أمكنه ذلك.

"أعترف بأنني أنظر الى كل امرأة تقترب مني نظرة فاحصة".

"هناك أوقات كنت فيها تبدي قلقك علي بوضوح، وينبغي أن أعترف بأنك كنت تبدو كطبيب في مناسبة أو اثنتين، لكن هذا كان قبل ذلك الحديث بينك وبين القبطان".

وحدق فيها، وحينئذ فقط أدركت أنها زلت بلسانها وسأل:

"كيف عرفت متى تم الحديث؟"

وتوقفت، لكنها أخبرته بأن مارجي، وهي تتجول في أنحاء السفينة في ذلك الصباح الباكر، قررت أن تكتشف ما وراء ذلك الباب الخاص واستدركت:

"لكن من الواضح أنها لم تسمع عما كان الحديث يدور... قالت إنها تشعر بالحيرة بخصوصك وبخصوصي أنا أيضا".

تحدثنا أنا وهي حديثا طويلا.

كان هذا كل ما قاله، لكن وندي استطاعت أن تتصور أن مارجي أخبرته بكل شيء يدور في خلدها، واستطرد غارث بصرح:

حول تلك الأوقات التي كنت أبعد قلقا فيها، كان الطبيب هو الذي يتحرك بداخلي، كان وجهك يشحب أحيانا وطبيعي أن لاحظ ذلك، لكن كان مستحيلا أن أعرف أنك تشكين من شيء خطير، إذ كنت تبدين في غاية الصحة. اعتقد أنه في الفترات التي كنت تقضينها في غرفتك كنت تعانين من الألم في رأسك؟

أجل، هذا صحيح.

لم يكن ينبغي أن تحتفظي بذلك لنفسك، لو كنت فقط ذكرت شيئا لي.

وتوقف وهز كتفيه بلا مبالاة وقال وهو يبتسم:

لا يهم، كل شيء أصبح الآن في الماضي، ستشفين بسرعة يا عزيزتي، ثم تصبحين تحت رعايتي بقية حياتك.

وردت ابتسامته، وساد الصمت لحظة طويلة في الغرفة، وبعدها قالت:

رأيتك مع القبطان قبل أن أمرض بلحظات، هل كان... أعني...

بعد إبلاغه بأنك ستغادرين السفينة في لوس أنجلوس قرر إخباري بأنك الفتاة التي حدثني عنها. كان قلقا بشأن قرارك المفاجيء. ولهذا تشاور معي. اعتقد أنه ينبغي اقناعك بالبقاء فوق السفينة لأن الواضح أن طبيبك أبلغه بأنه ليس لك أقارب إلا ابن عم من بعيد. وهكذا عرف أنك تكذبين عندما قلت أن لك أقارب في لوس أنجلوس.

ورمقته بنظرة الاحساس بالذنب وقالت:

اعتقدت أنني أفعل الأفضل، لم أكن أرغب في أن تصاب بالألم، يا غارث.

لكنك تأخرت والألم أصابني بصورة سيئة للغاية.

لم أكن أريد أن تعلم أنني سأموت.

واستدارت لتنظر إليه. ورأى عينيها تلجعا

بالدموع وارتعشت قائلة:

عزيزي غارث، لم أستطع أن أفكر بأية طريقة أخرى.
وانحدرت دموع على خدها، وأحضر منديلا، وجففها به ثم مد ذراعه وقربها من صدره، وهو يفهم:

لا تزعجي نفسك بهذا، لم يكن ينبغي لي أن أقول شيئا عن مشاعري.

لكن كان ينبغي بالطبع أن تقول.

وعندما لم يعلق بشيء، واكتفى بضمها الى قلبه، أخبرته كيف كانت تحس عندما اعترفت فيما بعد وهي في حالة اللاوعي الجزئي، بأنها تحبه وقالت:

عرفت حينئذ أن الوقت متأخر لحمايتك من الألم، وبدأ لي أنه ينبغي أن أخبرك بحبي لك.

كنت أعرف بالفعل، هل تعتقدين أنني لم أفهم، في أسرع لحظة يمكن تصورها، السبب في قرارك بمغادرة السفينة؟

بالمعلومات التي كانت لديك لابد أن هذا كان واضحا.

ولم يقل غارث شيئا، وكان قانعا بأن يضمها الى صدره بهدوء، وقد التصق خده بخدها، وفكرت في المستقبل ودهشت من أنها لا تزال حية وأنها هي وغارث سيصبحان قريبا زوجين.

ووضعت يدها على الضمادات المحيطة برأسها وقالت متسائلة:

اليس لي أي شعر على الاطلاق؟

سألت هذا السؤال لأنها رأت يعني خيالها صورة حفلة زفافها وتجهمت عندما فكرت في أنها سترتدي شعرا مستعارا.

أخشى أن يكون شعرك قد حلق تماما، لم يكن فقده شيئا ذا قيمة.

*لا، الواقع أنه لم يكن كذلك، كنت فقط أفكر في... واجتاحها الخجل فأسكتها لكن غارث عرف ما كانت تعنيه فقال:

*الصدمة التي يصاب بها الجهاز العصبي بعد عملية كهذه كبيرة الى درجة أن المريض يحتاج الى ستة أشهر كي

يستعيد صحته تماما، سنعلن خطوبتنا فور عودتنا الى انكلترا، لكن بقدر ما كنت أتمنى أن نتزوج بسرعة، علينا أن ننتظر، سيوفر لك هذا أيضا الفرصة، لكي ينمو شعرك ولكي تتعودي على أساليبي الأمرة أيضا *.

وقطعت وندي صمدا طويلا قائلة:

"هل ستظل دائما تعمل فوق طاقتك كما تفعل الآن؟"

"لن أضطر الى ذلك، فهناك اثنان آخران من جراحي الأعصاب في المستشفى الآن، لذلك لا يمكن أن أظل أعمل كما كان يحدث طوال السنوات الأربع أو الخمس الماضية *."

وشعرت بالسعادة تغمرها من رده، إذ لم تكن تريد أن يضيع صحته بالعمل المرهق، ورغم أنها كانت أمينة بما فيه الكفاية للاعتراف بأنها أنانية، بعض الشيء، فأنها كانت تريد بالفعل أن يظل زوجها معها أطول وقت ممكن *.

"فريزر قال انك كنت ترهق نفسك بالعمل أربع عشرة أو ست عشرة ساعة في اليوم لمدة سبعة أيام في الاسبوع أحيانا *."

قال بحدّة:

"فريزر يتكلم أكثر من اللازم *."

لكن وندي كانت واثقة أن فريزر قال الحقيقة، وعلى أية حال فقد شعرت بأن غارث متردد من سماع أي شيء آخر عن الموضوع، لذلك تجاوزته وسألت عن السفينة والناس الذين أقامت معهم علاقات صداقة، فقال لها:

"مارجي أصيبت بأسى فطيع، لكنني أرسلت رسالة الى القبطان وسيذيعها في مكبر الصوت بأن العملية نجحت فهناك بالطبع كثيرون فوق السفينة يرغبون في معرفة احوالك *."

وقالت موافقة:

"أجل فريزر وصديقتي، ودينبي ومارجي بالطبع *."

وتوقفت عن الكلام وقد استغرقت في التفكير بالآخرين الذين أقامت معهم صداقات ثم قالت:

"جميعهم سيعرفون بما فعلته *."

واكتفى غارث بالابتسام، وأدركت مرة أخرى أنه لا يرحب بمزيد من الحديث عن هذا الموضوع وبعد لحظة

قال بحزم:

"حان الوقت لترقدي الآن . غدا قد أسمع لك بالنهوض *."

"حقاً؟"

"لمدة نصف ساعة فقط، وفقط اذا كنت فتاة طيبة ورقدت الآن *."

"سأفعل *."

وفعلت ذلك في الحال، رغم أنها شعرت بأنها أبعد ما تكون عن الارهاق:

"طابت ليلتك يا حبيبتي العزيزة، سأراك في الصباح *."

وهمست برقة وهي تنظر اليه بعينين براقيتين من فوق الوسادة:

"طابت ليلتك * ان الحياة جميلة حقاً! شكراً لأنك أعدتها لي *."

ولم يقل شيئاً وعبر من الباب ثم أغلقه خلفه في نعومة *.

* * *

وتزوجا بعد ذلك بستة أشهر في كنيسة لطيفة في قرية "بورتونويل" في "دورست" حيث يعيش والدا غارث، واشترى غارث بيتاً جميلاً مبنياً بالحجارة على مسافة غير بعيدة منهما، وكانت الشمس تشرق من سماء صافية الزرقة عندما خرجت وندي من الكنيسة لتواجه، مع زوجها، عدداً من آلات التصوير، بعضها في أيدي الصحفيين، وبعضها في أيدي أصدقاء أو أقارب، وبعضها في أيدي أطفال *.

"قفا جانبا قليلا يا عزيزتي *... كنت دائما أعرف أنكما ستصبحان زوجين رائعين *... دينبي *... أنت على حق في التقاط صورة لهما من هذه الزاوية الجانبية! أمل أن تكون قد وضعت فيلماً جديداً في آلة التصوير *."

"عمي غارث وعمتي وندي *... هلا تمسكان أيديكما بعضهما مع البعض *؟"

"وندي، يجب أن تبتسمي *."

وتنكتكت آلة التصوير مع فريزر حين أطاعته

وابتسمت ابتسامة أخرى، وقالت فيكي بنبرة اعتذار:
"ألا يمكن أن التقط صورة؟ أنا واثقة من أنكما متعبان".
"كلا على الإطلاق".

قال غارث ذلك بلهجة الهادئة، وقبّلت والدته وجنتي العروس، بينما التقط أبوه صورة سريعة لهما. وطول ذلك الوقت كان مراسلو الصحف يدونون الملاحظات.
لكن أخيراً، انتهى كل شيء، وأصبحت العروس والعريس وحدهما في غرفتهما في فندق "سافوي" بلندن، حيث كانا يقضيان الليلة الأولى من شهر العسل قبل أن يعطيرا إلى فيدجي، حيث كانا سيقضيان الأسابيع الثلاثة التالية.
"كم كان يوماً رائعاً!"

قالت وندي، إذ شعرت بأن عليها أن تفوه بشيء بعدما أصبحت تشعر بخجل شديد مفاجيء، ثم استطردت:
"كل شيء مر بهدوء، والشمس أشرقت، وكان الجميع سعداء".
لم تكن والدتك رائعة في ثوبها المرجاني؟ حفل الاستقبال كان... وسمحت لصوتها بأن يتلاشى عندما لمحت التعبير الساخر في عيني زوجها الذي قال بنعومة:
"أجل يا حبيبتي... كل شيء كان كاملاً، ومع ذلك لدي أشياء أخرى أكثر أهمية للتحدث بشأنها في الوقت الحالي... عروستي الجميلة - مثلاً -".

"لم أكن في حياتي فخوراً كحالي عندما خرجت من الكنيسة بعدما اتخذت منك زوجة".
كانت في صوته الآن نبرة فخر، بينما أطلت من عينيه نظرات حب عميق ورقة جعلت أنفاسها تتوقف.
ولأن العواطف ملكت عليها كل كيائها فجأة، فقد التصقت به بشدة، ودفنت وجهها في صدره:
"هل تبكين؟"

سأل بتفهم محاولاً أن يبعدها عنه حتى يرى بنفسه ما إذا كانت الدموع تملأ عينيه.
"كلا، بالطبع، لا!"

قالت ذلك بلهجة النفي، وفي الحال امتدت أصابعها إلى رموشها خوفاً من أن تكون دمعة شاردة قد فرت من

بين سحابة العواطف الجياشة التي تجمعت خلف عينيها، وأخيراً قال:
"في هذه الحالة يمكنك أن تدعيني أرى واحدة من ابتساماتك الرائعة".

ومرت لحظة توقف قبل أن تبعد رأسها عن صدره وتنظر إليه، وأضاءت وجهها ابتسامة مثل شعاع من الشمس امتد إلى عينيها وقالت بانتصار:
"ها أنت ترى، قلت أنني لا أبكي".

لكن شفتيها الجميلتين كانتا ترتعشان، وتقوس فمه في ابتسامة فرحة رقيقة، وهزها برفق قبل أن يضمها ثانية إليه.